

دكتور عبد الوهاب محمد المسيرى

الأكاذيب الصهيونية

من بداية الأستيطان حتى انتفاضة الأقصى

اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر من دار المعارف



اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

[٩٩٩]

رئيس التحرير: **رجب البنا**

تصميم الغلاف : منال بدران

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج - م - ع . ٠

دكتور عبد الوهاب محمد المسيري

الأكاذيب الصهيونية

من بداية الاستيطان حتى انتفاضة الأقصى



دارالمحرّف

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها ، لم يفكروا إلا في شيء واحد ، هو نشر الثقافة من حيث هي ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية . وأن ينتفعوا ، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة ، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التي نعيشها .

طه حسين

مقدمة

ثمة مصطلحات ومفاهيم كثيرة اختلقت خطابنا المياسي مثل «الشعب اليهودي» و«الخصوصية اليهودية» و«المنقش» و«ارتباط اليهود الأرضي بأرض اليعاد»، وقد التهمت بعض الظواهر في أذهاننا بحيث زالت الحدود بين الصهيونية واليهودية والمسيحية حتى أصبحنا نتحدث عن الصهيونية المسيحية. وقد وصل الاختراق درجة أن الكثيرين لا يستطيعون تصديق أن الصهيونية في حالة أزمة، وأن الانسحاب الصهيوني من جنوب لبنان ثم انتفاضة الأقصى قد تركا جرحاً غائراً في الوجدان الصهيوني / الاسرائيلي.

والدراسات التي يضمها هذا الكتاب هي محاولة لتفكيك وإعادة تركيب بعض هذه المفاهيم والمصطلحات، حتى تتعمق رؤيتنا للعدو الصهيوني، وحتى ندرك مواطن قوته وضعفه، ومن ثم يمكننا تحمين قدرتنا على التنبؤ بسلوكه والتصدى له. والفصلان الأول والثاني يتناولان مفهومين محوريين صهيونيين: «الشعب اليهودي» و«الخصوصية اليهودية»، ويبينان أنه لا أساس لهما في الواقع. ويتناول الفصلان الثالث والرابع جانباً مهماً من الظواهر اليهودية والصهيونية لم يتم التصدي له بما فيه الكفاية، وهو العهد الديموجرافي وكيف يوظف الصهاينة الأرقام لترويج مفاهيمهم، أما الفصلان الخامس والسادس

فيتناولان المفهوم الذي شاع مؤخرًا «الصهيونية المسيحية» ومعاداة اليهود التي يقال لها معاداة السامية. أما الفصول الثلاثة الأخيرة «الثامن والتاسع والعاشر» فنتناول بعض معالم الأزمة الصهيونية وأسباب تفاقمها. وبعد - تشكل هذه الدراسات اجتهادًا أوليًا يحتاج إلى مزيد من التطوير والتحصين. ونحن نؤمن أن الاجتهاد لا يد وأن يسبق الجهاد وأن الواقع يتغير من حولنا بسرعة، ولذا لا بد أن يواكبه اجتهادات مستمرة من جانبنا. فالاجتهاد عملية مفتوحة لا نهاية لها، ومن اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد ولم يصب فله أجر واحد. والمهم هو أن نستمر في الاجتهاد والجهاد.

والله أعلم .

دمنهور القاهرة- يناير ٢٠٠١ دكتور عبد الوهاب العمري

الفصل الأول

يهود أم جماعات يهودية

يتصور كثير من الدارسين أن كلمة (يهودي) دال له مدلول واضح ومحدد يشبه في وضوحه وتحدهه دالاً مثل «ألماني». فالألماني هو فرد ينتمي إلى الفرع النوردي من الجنس الأبيض من الناحية العرقية، وإلى الحضارة الغربية من الناحية الحضارية العامة، وإلى الثقافة الجرمانية من الناحية الإثنية. وهو يتحدث الألمانية، وينتمي إلى الشعب الألماني. العناصر المشتركة بين أفراد هذا الشعب كثيرة ومهمة، ولذا فهي ذات وحدة تفسيرية وتصنيفية تفوق بمراحل العناصر غير المشتركة بينهم (تعدد اللهجات - تنوع الألوان المحلية - انقسامهم إلى طبقات).

ولذا يتحدث كثير من الدارسين عن اليهود وكأنهم كتلة واحدة متماكة ومتجانسة فعلاً، ويقم التعبير عن هذا بكلمات مثل كلمة «جورى Jewry» الإنجليزية التي تعني «اليهود باعتبارهم كُلاً متماسكاً»، ويصبح اقتراض الوحدة والتعاسك والتجانس أكثر وضوحاً حينما يتحدث الباحث عن اليهود باعتبارهم «الشعب اليهودي» و«الامة اليهودية» وهو ما يعني أن اليهود ينتمون إلى تشكيل حضارى واحد، وأن لهم تاريخاً واحداً، ومصيراً واحداً، ومستقبلاً واحداً، وربما

عرقاً واحداً وانتقاء ثقافياً واحداً، وأن مصالحهم واحدة وتطلعاتهم واحدة، وأن العناصر المشتركة بين يهود العالم أكثر أهمية من العناصر غير المشتركة.

والسؤال الذى يطرح نفسه : إذا كان ثمة عناصر مشتركة بين يهود العالم، فما هى ؟ وهل هذه العناصر المشتركة أكثر تفسيرية وأهمية من العناصر غير المشتركة؟

التاريخ اليهودى

لنأخذ، على سبيل المثال، فكرة «التاريخ اليهودى» الذى هو مصطلح يفترض وجود تاريخ يهودى مستقل عن تواريخ جميع الشعوب والأمم، وهو مفهوم تتفرع عنه وتستند إليه مفاهيم الاستقلال اليهودى الأخرى. ومفهوم التاريخ اليهودى يفترض أن لهذا التاريخ مراحل التاريخية وفتراته المستقلة ومعدل تطوره الخاص، بل أيضاً وقوانينه الخاصة، وهو تاريخ يضم اليهود وحدهم، يتفاعلون داخله مع عدة عناصر مقصورة عليهم، من أهمها دينهم وبعض الأشكال الاجتماعية الفريدة. واستقلالية أى بناء تاريخى تعنى استقلالية بناء الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك استقلالية البنى الحضارية والرمزية المرتبطة به، وتجانسها النسبى فى كل مرحلة من مراحلها. كما أن هذا البناء يضم جماعة من الناس لا وجود لها خارجه، ولا يمكن فهم سلوكها إلا فى إطار تفاعلها معه. ولكن من الثابت تاريخياً أن الجماعات اليهودية المنتشرة فى العالم كانت تتسم بعدم التجانس وعدم الترابط وبأن أعضائها كانوا يوجدون فى مجتمعات

مختلفه تسودها اصنام إنتاجية وأبنية حضارية احتلت باخلاف الرمان
والمكان قبهود اليمن، في القرن التاسع عشر كانوا يعيشون في مجتمع
صحراوي قبلي عربي أما يهود هولندا فكانوا في الفترة ناسها يعيشون
في مجتمع حضري رأسمالي عربي. وبكل هذا نجد ان سلوك يهودي
اليمني ورويقه سيكون يحكمها إلى حد كبير عناصر البناء التاريخي العربي
اندي يعيش فيه، سواء كما تحكم سلوك يهود هولندا ورويقهم مكونات
بناء التاريخي العربي الهولندي

والآن، إذا فرصنا جدلاً وجود تاريخ يهودي، فما هي أحداث هذا
التاريخ؟ هل ثورة الصناعية، على سبيل المثال، ضمن أحداث هذا
التاريخ، أم أنها حدث ينتمي إلى التاريخ الغربي؟ في الواقع سنكتشف
أن الثورة الصناعية حدث ضخم في التاريخ الغربي، ترك عبق الأثر في
يهود عدم العربي، وأحدث انقلاباً في طرق حياتهم وقيمتهم للكون في
القرن التاسع عشر، أي بعد حدوث الانقلاب يعثره وجيزة، لكن هذا
الانقلاب لم يحدث لهم باعتبارهم يهود وإنما باعتبارهم أقلية توجد
داخل التشكيل الحضري العربي، إذ إنه بسجد أن هذا الانقلاب في
طرق الحياة ورويقة للعالم قد حدث أيضاً لأعضاء الأغلبية ولأعضاء
الأقليات الأخرى الموجودة داخل المجتمعات قريبة وفي الوقت نفسه،
ثم يتأثر يهود العالم العربي بالثورة الصناعية بدرجة نفسها، ذلك لأن
لتشكيل الحضري العربي كان بمنأى عن هذه الثورة الصناعية في بدايه
الأمر، لكن بعد نحو قرن من الزمان، بدأ هذا التشكيل يتأثر بالثورة

الصناعية، وبالتالي بدأ أثرها يمتد إلى معظم المجتمعات العربية بأغليانها وأقليانها، أما يهود إثيوبيا فلم يتأثروا إلا بشكل سطحي، لأن المناطق التي يعيشون فيها ظلت بعيدة عن هذه استحوالات الكبرى، وبقيت ذات طابع قبلي حتى الوقت الحاضر. لذا يمكن القول بأن معدل تأثير اليهود بالثورة الصناعية مسألة مرتبطة بكونهم أعضاء في مجتمع ما. فإذا ساءلنا هذا المجتمع بالثورة الصناعية فإن أعضاء الجماعات اليهودية يتأثرون بها باندفاعاته، وإذا فالإطار المرجعي لدراسة لا يمكن أن يكون لتاريخ اليهودي ولو جعل الباحث هذا التاريخ مرجعيته لمجرى عن تفسير كثير من عناصر عدم التجانس والتفاوت في هذا التاريخ، ولاضطر إلى لي عمق الحقائق يفسر سبب تأثير يهود لندن بالثورة الصناعية فور حدوثها ولم يتأثر بها بعض يهود إثيوبيا حتى الآن!

هوية يهودية وموروث يهودي

إذا كن من الصعب قبول مقوله «التاريخ اليهودي» فإنه يصبح من الصعب بالتالي الحديث عن «الهوية اليهودية» أو عن «الشخصية اليهودية»، إذ إن من الواضح أن أعضاء الجماعات اليهودية هم جزء لا يتجزأ من تشكيلات الحضرية التي يعيشون في كنفها، يتفاعلون معها تأثيراً وتأثراً، شأنهم في هذا شأن أعضاء الأغليات والأقليات

لنأخذ على سبيل مثال الموروث الثقافي لأعضاء الجماعات اليهودية، إننا سنلاحظ مثلاً أن اللغات التي يتحدثون بها تختلف باختلاف

المجتمع الذى ينتمون إليه، فهم يتحدثون الإنجليزى فى البلاد التى
تتحدث بها، والفرنسية فى فرنسا، والجورجية فى جورجيا

وتشير المراجع الصهيونية إلى اللاتينو (وهى رطاسة إسبانية كان
السفارييم يتحدثون بها)، ولیدیشية (وهى ألمانية العصور الوسطى بعد
أن دخل عليها بعض المفردات المبرية والسلافية، وتكتب بحروف
عبرية، كان يهود شرق أوروبا يتحدثون بها) بقول إن امراجع الصهيونية
تشير إلى هاتين اللطانتين بحسبانهما تعبيراً عن الاستقلالية اليهودية
لكن من المعروف أن ظاهرة لهجه المستقلة ليست مقصورة على يهود
كثير من أعضاء الأقليات ممن يظلمون بوظيفة معينة (كالتجارة والربا)
يبقون على لغتهم وسيلة للحديث، ولعل من أصعب أمثلة على ذلك
الأرمن فى دولة العثمانية والصينيين فى جنوب شرق آسيا، الذين
يظلمون بوظائف مالية محددة، فهؤلاء يتحدثون لغتهم الأصلية
ويحتفظون بمساكنهم، لكنهم يسروا وظيفتهم يرحلون من الوطن
أو يندمجون فيه، وهذا ما حدث لللاتينو والیدیشية، فالأولى انقرضت
تماماً، أما الثانية فقد أصبحت لغة النسون فى بعض بقايا الجيوب
اليهودية فى شرق أوروبا، وهى فى طريقها إلى الاختفاء

ويعوم المؤمنون اليهود بوضع مؤمعاتهم بلغة أوطاسهم، وحتى المؤلفات
الدينية التى كانت تكتب بالأرامية أوالمبرية، فإنها تكتب الآن
بالإنجليزية أوالعربية أو الألمانية، فو يبه لغة يجيدها ابوب من أعضاء
لجاعات اليهودية، ولم يعد يكتب بالمبرية سوى المؤلفين لإسرائيليين.

وإذا تركنا اللغة (هذا الوعاء البائع الأهمية) ونظروا إلى الأدب والعون
لتشكيله، فسنجد أن التقاليد الأدبية والفنية التي يبدع المؤلفون
والفنانون اليهود من خلالها هي تقاليد بلادهم ولا يمكن فهم إبداعات
هؤلاء الحضارية إلا بالرجوع إلى موروثات بلادهم الحضارية، وهو عاد
الرجوع إلى مفهوم الهوية اليهودية العامة والعامة تصل سواء السبيل
تصا وقل الشيء نفسه عن الآراء والأطعمة والطرز المعمارية

وحتى لو كان ثمة خاصية ما تفصل اليهود عن محيطهم الحضاري،
فإن هذه الخاصية (مثل تكلم يهود شرق أوروبا باليديشية بعض اوقت)
تظل مقصورة على أقلية يهودية معينة، ومرتبطة بملاسات تاريخية
وأوضاع اجتماعية وفترة زمنية محددة وبالتالى، فهي ليست خاصية
يهودية عامة أو عالمية، وإما هي خاصية تنتم لجماعة يهودية ما بها،
توجد داخل زمان ومكان محددين، وهي فى هذه الخاصة الجماعة
اليهودية فى شرق أوروبا من القرن السادس عشر حتى منتصف القرن
العشرين وهي أيضا خاصية لا تربط بين هذه الجماعة اليهودية وغيرها
من الجماعات، بل بالعكس، بها تريدة فرقة وتنوع، فاليهود خارج
مد المدن وهذا المكان لا يتحدثون «يديشية»، وبعضهم يرفضها، وقد
نشأ صراع بين دعاة اليديشية من أنصار قومية الدياسبورا ودعاة العبرية
من الصهيونية، كما هاجم مثقفو حركة الاستنارة فى ألمانيا اليديشية
باعتبارها أدنية مشوهة ولغة الغش النجاري والنخلف الحضاري وقد

اختلفت ليدشية، بينما استمر يهود شرق أوروبا في الوجود، يتحدثون
لغات أوطانهم الروسية، واليوسدية، والأوكرانية، والألمانية

سفارديم واشكناز ويهود العالم الإسلامي

يمكن تصنيف الجماعات اليهودية المتنوعة على عدة أسس، كلها
ذات مقدرة تفسيرية وتصنيفية جزئية. وهذا يعود إلى إشكاليات أساسية
كامنين في الشرع والوراث الديني اليهوديين. فاليهودي يُعرّف بأنه من
وُلد لأم يهودية أو تهوّد بحسب الشريعة وهو ما يعني أن هناك أساساً
عقائدياً (التهوّد والإيمان باليهودية) وأساساً عرقياً (الأم يهودية)، أي أن
الانتماء إلى اليهودية يمكن أن يتم على أساس أي من المنطقتين. كما أن
اليهودي الملحد يظل يهودياً على الرغم من إنحاده (وهذا أمر ينفرد الشرع
اليهودي به دون الإسلام أو المسيحية).

ويمكن تصنيف أعضاء الجماعات اليهودية، على أساس عرقي
أو لثني، إلى مجموعات كبرى ثلاث

١ - السفارديم :

هم اليهود الذين كانوا يتحدثون اللادينو، وهم بسبب أولئك يهود
الدين عاشوا في شبه جزيرة أيبيريا أصلاً، وحينما طرد أعضاء الجماعة
اليهودية منها اتجهوا إلى دولة النمساوية واليونان وشعب إيريثيا،
وكانت قطاعات من يهود المارامو المتخفيين (الذين أظهروا الكاثوليكية
وأبطنوا لليهودية هرباً من محاكم التفتيش) تلحق بهم وتشهر يهوديتها

فتصبح من السفارديم وكان بين السفارد بحبة تمتلك مهارات إدارية، كما كانت تمتد رأس مال كبير يؤهلها للاصطلاح بدور التجارة الدولية وفعلاً كوّن السفارد شبكة مجاريه دولية فقاموا، بالتالي، بدور أساسي في تطوير الرأسمالية الغربية ولهم طويقتهم الخاصة في الصلاة والطقوس الدينية، ولذا يمس الإشارة إلى المهج سفاردي في عبادة كم أن عبريتهم تختلف عن عبرية الأشكندر، وكان السفارد أكثر اندماج في محيطهم الحضاري وأكثر استيعاباً للحضارة العربية ثم الحضارة الغربية وظهر في صفوفهم «فيلسوف إسبينور ورئيس الوزراء در «تيلس»، وثمة عده متأصل بين السارد والأشكندر، فالسارد كانوا «رسمانية اليهود»، وكان استقرار الأشكندر في أماكن بجمعهم يصيب لهم حرج، وكانوا لا يتمتعون معهم ولا يتزوجون منهم، وكانوا يحاولون الاحتفاظ بمسافة بينهم، وقد انقلب بوضع رأساً على عقب بعد أن تحولوا إلى أقلية وحقق الأشكندر بروزاً في الحضارة الغربية، وبعد إعلان دولة إسرائيل.

٢ - يهود الشرق والعالم الإسلامي *

يُشار إلى يهود الشرق والعالم الإسلامي بأنهم «سارد» أيضاً، وهذه تسمية معبوبة، ويعود هذا إلى أن كثيراً من يهود العالم الإسلامي يتبع المهج السفاردي في عبادة لكن هذا لا يجعلهم من السفارد، فتجربتهم الدينية وثقافتهم والقانونية مختلفة تماماً وينقسم يهود العالم الإسلامي إلى عدة أقسام أهمها يهود البلاد العربية أو «يهود استعمارية» الذين استوحيوا التراث العربي وأصبحوا جزءاً لا يتجزأ منه،

غير أن هناك جماعات صغيرة أخرى ، مثل ليهود الأكراد وبقايا السامريين ويهود جبال الأطلس من البربر ويهود إيران ، وغيرهم ويتميز كل فريق بأنه مستوعب في إطاره الحصارى للمجتمع الذى يعيش فى كنفه ويتحدث لغة بل أيضا لهجة المجتمع الذى يعيش فيه ، ويتعامل مع العالم من خلال أنساق هذا المجتمع الثقافية والرمزية وهناك أحيانا سمات دينية فريدة لأعضاء هذه الجماعات الصغيرة، تعزلها عن التيار الرئيسى لليهودية ، إذ إن انكون الإنسان كثيرا ما يؤثر فى انكون المجتمع ويقلب عليه

٣ - الأشكناز .

هم أساسا يهود شرق أوروبا (روسيا/ بولندا) الذين يتحدثون اليديشية ويعود صلهم إلى ألمانيا (اشكناز بالعبودية) ومع أن أغلبية الأشكناز كانت تتحدث ليديشية، فقد كان الأشكناز يتحدثون للغات الأوروبية الأخرى ، وحيثما كان المهاجرون الأشكناز يهاجرون بولندا إلى بلاد مثل هولندا وإنجلترا ثم الولايات المتحدة، كانت المجتمعات المصيفة (بما فى ذلك أعضاء الجماعة اليهودية فيها) تعتبرهم متحلفين، فقد كانوا يعملون كصغار مرابين وباعة متجولين، وكانوا يحضرون معهم أمراض الاجتماعية، كدقش تجارى والدعارة. وكانوا يظهرون هروفاً حسن الإدماج، ولا سيما أن انبائهم وطريقتهم أشبه شعربهم مختلفة، فكانت يديرهم وتعزلهم عن محيطهم الحصارى الجديد وصيغ الدين اليهودى التى يعرفونها بخلاف من الصيغ التى يعرفها السفارد

ولذا، يمكن لحدث أيضاً من النهج لأشكاري في عبادة والمسألة اليهودية كانت أساساً مسألة يهود شرق أوروبا من الأشكار، وقد ظهرت جميع الحركات الفكرية اليهودية الحديثة في صفوفهم أيضاً حركة الاستنارة اليهودية، اليهودية الإصلاحية، اليهودية المحافظة، قومية الدياسورا البوند، وأخيراً الصهيونية التي بدأت كحركة أشكارية تهدف إلى تأسيس دولة أشكارية، لكن يهود الشرق والعالم الإسلامي ويقايا سفارد اكتسحوها

إصلاحيون ومحافظةون وأرثوذكس وطوائف وعبادات أخرى

يمكن تقسم يهود العالم من الناحية الدينية إلى قسمين أساسيين

١ يهود إسرائيليون وهؤلاء فقدوا كل علاقتهم بالعقيدة اليهودية والموروث الديني، وهم يرون أن يهوديتهم تكمن في إنشيتهم، أي في أسلوب حياتهم وموروثهم الثقافي، ويمكن القول بأن أكثر من نصف يهود أمريكا يهود بهذا المعنى، أما في الاتحاد السوفيتي (سابق)، فإن عددهم يزيد عن ذلك كثيراً، ويشار إلى هذا الفريق بأنه اليهود المنحدرون أو المعاصرون

٢ يهود يوتسور بعقيدة ما من صيغ العقيدة اليهودية، وهؤلاء ينقسمون إلى عدة أقسام

(أ) لليهودية الأرثوذكسية هي وازعة اليهودية المحافظة أو المعيارية أو القلمودية وهي الصيغة اليهودية التي سادت بين الجماعات

اليهودية الأساسية هي الغرب منذ العصور الوسطى حتى نهاية القرن التاسع عشر ويؤمن اليهود الأرثوذكس بأن النوراة مرسلّة من إله، وبأن كل ما جاء فيها مُكرّم ولذا، فهم يرون ضرورة أن يلتزم يهودى بتعميد الوصايا والسواهي (المسحوت)، وضرورة إقامة لشعائر كافة، بما فى ذلك شعيرة السبت والطعام الشرهى

(ب) اليهودية الإصلاحية هي أول المذاهب اليهودية التى تحدث اليهودية الحاخامية وظهرت فى ألمانيا (مهد الإصلاح الدينى المسيحى)، وتُعدّ ترجمة لفكر عصر الاستمارة وهى تحاول أن تعبّر عن العصر الحديث، فتُحكّم العلم فى كل شىء، وتحاول أن تفصل المكون الدينى عن المكون لعرقى أو القومى فى العقيدة اليهودية بحيث يصبح المكون وحده مكرّماً، ويسقط أى تفسير قومى لأفكار مثل «العودة» و«اسقى» بحيث تصبح كلها أفكاراً تعبّر عن تطلع دينى يتحقق فى آخر الأيام، أو بالنسبة عبر التاريخ وهذا كله يهدف إلى تعميق ولاء اليهودى للوطن الذى يعيش فيه ودمجه فى محيطه الحضارى بحيث يتحول إلى مواطن فى الشارع ويهودى فى منزله (ومع هذا تم صهينة اليهودية الإصلاحية، شأنها شأن معظم التيارات وبطوائف اليهودية الأخرى)

(ج) اليهودية المحافظة . هي مجموعة من التيارات بفكرية تصدر عن الإيمان بأن العقيدة اليهودية تعبّر عن روح الشعب اليهودى الثابتة (لا روح العصر المتغيرة)، وبأن هذه العقيدة تطورت عبر التاريخ وأخذت أشكالاً مختلفة، وبأنها من ثم قادرة على التكيف مع اللحظة التاريخية

فاليهودية ليست مجموعة عقائد ثابتة وإنما هي تراث أخذ في التطور تاريخي الدائم. لكن أي تغيير يدخل على هذه العقائد لابد من أن يكون نابعاً من صميمها معبراً عن روح الشعب اليهودي وهويته ويمكن القول بأن اليهودية المحافظة ترى الدين اليهودي باعتباره، في واقع الأمر، المتكلم اليهودي، أو الروح القومية اليهودية وهي في هذا قريبة للمهمة من الرؤية الصهيونية لليهودية، على الرغم من أن ما يهيمن على المؤسسة الدينية في إسرائيل هي اليهودية الأرثوذكسية.

ولا تؤمن لليهودية الإصلاحية أو المحافظة بلن الكتاب المقدس مُرسَل من الإله، وإنما هي مجموعة من الأقوال الحكيم والأساطير الشعبي التي ألهم بحال بعض الأنبياء بها لكنه لم يوح إليهم بها، ومن ثم، فمن حق المخلوق أن يتصرف بحسب ما يعليه العقل أو العسر عليه، فيُغيّر ويُبدل في الشرائع، بل يُسقطها تماماً في بعض الأحيان وبذا فلن الإصلاحيين ومُحافظين لا يلتزمون الوصايا (الأوامر والنواهي)، ولا يقيمون شعائر السبت أو الطعام الشرعي إلا على نحو جزئي من قبيل الحفاظ على الفلكلور وقد أبحاث اليهودية الإصلاحية والمحافظة ترسيم النساء حاخانات، كما أبحاث الشهود الجنسي بين الذكور والإناث، بل ويُرمّم الآن الشواذ ولشحاقيات حذاميين والأغلبية الساحقة من يهود العالم الغربي إثنية أو محافظة وإصلاحية، ولا يشكل لأرثوذكس سوى أقلية لا تزيد عن 5٪ ويلاحظ إقبال أعفء الجماعات اليهودية على لعبادات

الجديدة، مثل البهائية والنسوية وما يسمى دينات العالم الجديد (الإيمان بأن ليهوم شكلاً ما قوة سحرية خارقة، على سبيل أمثال).

أمريكيون وفلاشاه

إلى جانب هذه التقسيمات الأساسية توجد جماعات هامشية لا حصر لها، وقد أشرنا إلى السامريين الذين لا يؤمنون بالتلمود ولا بمعظم كتب العهد القديم، وإنما يؤمنون بأسفار موسى الخمسة أساساً بمسختها المختلفة عن تلك المتداولة بين اليهود كاهن ومركزهم هو جبل جرزيم في نابلس. لا جبل صهيون، وهم لا يؤمنون بمجيئ المسيح وهناك أيضاً القراون الذين تمردوا على التلمود (بفكر الفكر ليعتزلي الإسلامى)، وزيروا اليهودية الحاخامية من جذورها، لكن لم يبق منهم سوى بضعة آلاف في كاليفورنيا وبعض مناطق روسيا وإسرائيل، وهناك بقايا يهود كيعيج في الصين، يهودون يهود الذي يسمونه تيين (السماء) ويعبدون في معبد يهوديين، أحدهما لمادة لاله والآخر لمادة الأسلاف، وهم لا يقررون لا التلمود ولا التوراة، وملاصهم صينية تماماً، ويمكن أن تشير إلى يهوديتهم بأنها يهودية كوفوشوشوسية (تماماً مثل مجد أن يهودية بنى إسرائيل في انهند يهودية هندوكيه). وهناك عشرات من التجمعات والطوائف والفرق اليهودية الأخرى لها مشية

لكن بدلاً من الدخول في تفاصيل لا حصر لها، يمكن أن نقارن بين هئتين إحداهما مركبة وتضم يهود الولايات المتحدة الذين يشكلون أكبر

تجتمع يهودى فى العالم، والأخرى هامشية وتضم الملاشا لنديس يشكلون
تجمعا صغيرا هامشيا معزلاً

يعتشى يهود الولايات المتحدة فى الدرجة الأولى، إلى الجنس الأبيض،
وأغلبهم «ساحقة من أصل أشكنازى (ألماني أو روسي / بولندي). وتوجد
قلة من السفار، والقرائين، والكريشاكي (وهم ينتمون إلى جماعة يهودية
صغيرة فى شبه جزيرة القرم، يتحدث أعضاؤها بالتقريب، ويبدو أنهم من
بقايا يهود الآخرين). وهناك أيضا بعض الأمريكيين السود الذين يُدعون
«العمير يهود السود» وهؤلاء يؤمنون بمقيدة شبه يهودية تتحدث عن مؤامرة
الإنسان الأبيض لفصل آسيا عن أفريقيا عن طريق شق قناة السويس،
ويدعون أنهم هم العبرانيين الحقيقيون، ومن ثم يرون أنهم هم وحدهم
أصحاب الحق فى استرداد إسرائيل والاستيطان فيها وحكمها. وتوجد
جماعة منهم فى شيكاغو هاجر عداد منها إلى إسرائيل، حيث استقروا
فى جوار ديمونا وفى أوساكن أخرى، وهؤلاء لا تعترف إسرائيل
أو المؤسسات האחامية بهم، بطبيعة الحال، ولذا فهم يشكلون أقلية
صغيرة داخل كل من الدولة الصهيونية والجماعة اليهودية فى الولايات
المتحدة

أما الملاشا، فهم من يهود إثيوبيا، وملاحهم لا تختلف من قريب
أو بعيد عن ملاح بعض قبائل و أقوم إثيوبيا. وإذا كان هناك بينهم من
التبويعات، فهي تبويعات تشبه فى بعض النواحي لتبويعات الموجودة فى
مجتمعاتهم. وهناك جماعة املاشا مورو، وهى جماعة مسيحية شبه

يهودية مبنية على الفلاشا كانت قد تنصرت منذ ما يقرب من مئتين من الزمان.

ومن الناحية الدينية، ينقسم يهود الولايات المتحدة إلى قسمين أساسيين: يهود اثنيون لا أدريون ويهود متديون وهؤلاء ينقسمون بدورهم إلى إصلاحيين ومحافظين وتجديديين وأرثوذكس (ويوجد بعض الفرق الأخرى شبه الدينية من أتباع العبادات الجديدة) وللهود النصارى في الولايات المتحدة يتبعون في المعبد يهودي (المسيح جوج)، ويرأسهم حاخام، ولا يقيمون معظم الشعائر ولا يكرثون بالطعام لشعائر السبت ولطهاره والنجاسة.

أما الفلاشا، فهم أساساً خارج نطاق اليهودية الحاخامية، ولا يعرفون التلمود، وتختلف بعض شعائريهم عن شعائر اليهودية الحاخامية، فشعائر الطهارة والتجاسة عندهم مركبة وشاملة، ومع هذا فهم يقيمون شعائريهم كلها (وقد صدموا حينما هاجروا إلى إسرائيل بسبب تصرف أعضاء الدولة اليهودية عن الشعائر اليهودية)، ويرأس يهود الفلاشا قساوسة (يقال لهم قسيم)، وهم يعرفون نظام الترميم، إلههم رهيان وراعيان، ويسألون إلى معبد يهودي يسمى المسجد، ويخلمون تعاليم قبل دخوله!

ومن ناحية اللغة فإن يهود الولايات المتحدة يتحدثون الإنجليزية، ويعرف بعض علماءهم العبرية والآرامية، كما توجد العبرية في بعض كتب صلوات، أما يهود الفلاشا، فهم يتحدثون الأمهرية (ويتحدث

بعضهم بالتهجيرية) ويتمحورون بالجمهورية، لغة الكنيسة القبطية
الإثيوبية، ويضم كتابهم لقدس بعض بعض العهد الجديد

ولكل جماعة يهودية خطابه الحضارى وفلكلوره الذى يتبع من
محيط الحضارى، ففى حالة يهود أمريكا، يتبع خطابهم الحضارى من
محيطهم الحضارى بحالى (الأمريكى)، أو من محيطهم الحضارى السابق
(روسا بولندا ألمانيا إنكلترا)، أما فى حالة يهود الملائك، فهو
يمسح كله من محيطهم الحضارى الإثيوبى الإفريقى وفى حين أن
اليهودى الأمريكى يرتدى لبطلون «الجينز» ويأكل «هامبورجر»
ويرقص الديسكو ويمش فى منزل عصرى وقد يُطعم حديثه ببعض
الكلمات الوديشية، ويتحدث بعض الحسيديين منهم يديشية كما يحتفظ
بعضهم بالأرياء التى كانوا يرتدونها فى شرق أوروبا، فإن يهودى الفلاشا
يرتدى شالاً لا يختلف عما يرتديه من حوله من أبناء اثيوبيا، وهو يأكل
طعامهم، ويرقص الرقصات المعروفة فى منطقته، ويمش فى كوخ مدلى
بخطب لا يختلف من قريب أو بعيد عن الأكواح المحاوره، والوضع
الاجتماعى لليهود أمريكا (نسبة الطلاق - الوظائف - المهن) ورؤيتهم
للكون لا تختلف عن وضع الإنسان الأمريكى ورؤيته سكون السين
بختلافان بشكل جوهري عن وضع الفلاشا ورؤيتهم. ويهد كله قبيعا
كانت دولة انصهيونيه تتلف لهجرة يهود الولايات المتحدة إليها،
فإنها كانت ترفض هجرة الفلاشا حتى سنة ١٩٧٣ وبأن كانت الدولة
الصهيونية تشجع هجرتهم الآن، وليس ذلك بسبب أى تغيير طرأ على

هويتهم واسما بسبب تغييرات طرأت على سياسة الدولة الصهيونية، بل أيضا على هويتها، ومدى حاجتها إلى العنصر البشري بل إن الدولة الصهيونية بدأت ترحب بالفلاشا موراء، مع أن هؤلاء لا يمكن اعتبارهم يهودا مهما يتم من تطويع للكلمات قسراً

جماعات يهودية

يمكر القول إن الاختلافات بين يهود الولايات المتحدة ويهود الفلاشا هي حقا اختلافات جذرية في جميع المجالات لكن قد يقال إن مثل هذه الاختلافات عميقة موجودة عادة بين لركز والأطراف في أي تشكيل حضارى أو سق ديسى، فالجماعات المسيحية المتطرفة (انورسون مثلا) مختلفة جوهرياً عن الأشكال المركزية المسيحية، والقول نفسه ينطبق على الإسلام، وفي هذا بعض الصدق. بيد أن وضع لليهود واليهودية يظل فريداً، إلى حد كبير، فالركز في اليهودية اختفى منذ أمد طويل، الأمر الذي سمح بتطور الأطراف على نحو مستقل تماماً عن لركز، أي مركز، وأصبح للأطراف شرعية لا تقل شرعية عما يمسّي التيار الأساسى في اليهودية وحتى قبل أن يختفى لركز، كان النسق يدهى اليهودى يحوى ثقافات عميقة كثيرة، وعدد كبير من المعاهيم الدينية ثم يستمر، فسمهدين (أعنى سلطة دينية يهودية في لقرن لأوّل الميلادى وهى التى قامت بمحاكمة السيد لمسيح) كس يضم الصدوقيين بنين كانوا يؤمنون بيهودية وثنية هرمية صارمة لا يمت فيها ولا إيمان، وإنما عقيدة جاهد جامدة تدور حول القرايين والشعائر المنضبطة والمرتبطة بالأرض تماماً لكن سمهدين كن في بوقت ذاته يضم البرهسبين الذين

كانوا يرامسون بالبحث وبضرورة الإيمان بانيوم لآخر (وكما يرامسون بالتبشير باليهودية، وهو الأمر الذي لا تعرفه اليهودية) وعلى الرغم من الاختلافات العميقة، كان نصدوقيون والفريسيون يجلسون جنباً إلى جنب في السعدين، ويمارسون نشاطهم الديني، ولا يمكن تفسير هذا الوضع إلا بعدم تبلور السنن الديني اليهودي قبل تحطيم الهيكل وسقوط المركز. يضاف إلى هذا ما يمكن تسميته التعريف الثنائي لليهودي على أساس عقدي وعلى أساس هرقى الذي استلزم الإشارة إليه ذلك كنه سمح بظهور ما يمكن تسميته بخاصية انجيولوجية لكن من العبيد اليهودية والهوية اليهودية (و العقائد والهويات اليهودية إن أردنا توخى بدقة) وهي أن هذه العقائد والهويات تأخذ شكل تركيب جيولوجي مكون من طبقات مختلفة، مستقلة ومتراكمة أو متجاورة لكنها غير ملتصقة أو متصلة كما أنها لا تخصص لأيه معيارية مركزية ومع هذا، فإن هذه العقائد كافة سُميت «يهودية» وسُي كل هؤلاء «يهوداً»، وهو أمر كان معيولاً أو يمكن تجاهله من قبل. لكن مع ظهور الدولة الصهيونية وديانة المواجهة بين هذه عقائد وتلك الهويات، تفجّر السؤال الذي لا يزال يبحث عن إجابة: من هو اليهودي ؟

لهذا كله ، نجد أن مصطلح «يهودي» مصطلح عام ومفترقه التفسيرية والتصنيفية صحيحة إن لم تكن مقدمة بسبب عموميتها وإطلاقه، وبذا فإننا نفضل استخدام مصطلح «جماعات يهودية»، ونحرص على استخدامه قدر استطاعتنا (إلا إذا نضب السياق غير ذلك)، فهو مصطلح يُصنّف هذه الجماعات اليهودية بحسبها «يهودية» ، لكنه يؤكد في الوقت نفسه عدم تجانسها باستخدام كلمة «جماعات»

الفصل الثاني

الخصوصية اليهودية

كلمة «ثقافة» لها معنيان أو استخدامان رئيسيان

١ - معنى متسع ويعنى أسلوب الحياة في المجتمع بكل ما يعطى عليه من موروث مادي ومعنوي حتى

٢ - معنى ضيق ويعنى الأنشطة الإبداعية المتميزة في الآداب والفنون الأدائية والتشكيلية ونحن مستخدم الكلمة بكلا المعنيين

وتشير معظم بكتابات لتي تناول أعضاء جماعات اليهودية إلى «الثقافة اليهودية» و «التراث اليهودي» و «الموروث اليهودي» وهذه المصطلحات، شأنها شأن مصطلحات الاستقلال اليهودي الأخرى مثل «التاريخ اليهودي» و «القومية اليهودية» و «الخصوصية اليهودية» تفترض أن الجماعات اليهودية في العالم لها حضارة مستقلة وثقافة مستقلة وراثت مستقل عن لمجتمعات التي يوجد فيها أعضاء الجماعات اليهودية، وأن الإسهامات الحضارية لمختلفة لليهود سواء في بلاد أو فلسطين في العصور القديمة أم في فرنسا في العصور الوسطى في العرب أم في هولندا والهند والصين في القرن السادس عشر أم في ألمانيا في القرن التاسع عشر أم في الولايات المتحدة واليمن في القرن العشرين،

وبرغم تنوعها الحتمي والمتوقع تعبر عن نمط واحد (وربما جوهر يهودى) يجمع من الممكن أن ترى كل هذه الإسهامات باعتبارها تعبيراً عن حضارة يهودية أو ثقافة يهودية واحدة، ويستند مفهوم الإثنية اليهودية (وهو مفهوم صهيونى أساسى) إلى افتراض وجود مثل هذه الثقافة المستقلة

الثقافة بدلاً من العرق

ويلاحظ أنه بعد ظهور هتلر، وبعد قيامه ببيع الملايين من أعضاء الجماعات اليهودية والبولنديين والروس والفجر والمقوقين وغيرهم من البشر باسم التمييز العرقى الآرى أسقط الصهاينة مفهوم العرقى لنهوية اليهودية، وأخذوا يؤكدون بدلاً من ذلك المكون الثقافى الإثنى كأساس للنهوية ولم يكن هتلر وحده هو الذى دفع الصهاينة للتخلي عن الاعتداليات العرقية التى سادت فى خطاب الحضارى الغربى منذ منتصف قرن التاسع عشر فعلى الرغم من محاولاتهم الأولى فى إثبات أن اليهود شعب واحد (آين فولك) بالمعنى لعرقى، إلا أنهم وجدوا أن إثبات وحدة اليهود العرقية أمر فى غاية الصعوبة. إذ يوجد يهود بيض ويهود سود ويهود صفراء، ويهود من كل لون. ولذا لم يكن هناك مناص من التخلي عن الاعتداليات العرقية الفجة على أن تحل محلها الاعتداليات الإثنية لصعوبة وقد تعمق مفهوم نهوية الإثنية المستقلة حتى تشمل تماماً فى لئىق الدينى اليهودى ذاته فاليهودية «محافظة» على سبيل المثال، تدور حول مفهوم التاريخ اليهودى والثقافة اليهودية وقد أسس المفكر لدينى الأمريكى اليهودى مردخاى كابلان عرفه يهودية تسفى

«اليهودية التجديدية» تستند إلى الإيمان بالحضارة اليهودية والثقافة اليهودية والتراث اليهودي، وإلى أن هذا التراث شيء مقدس يشغل نفس المكان الذي شغلها الخالق في التفكير الديني اليهودي تقليدي. وغنى عن القول أن مشروع الصهيوني بأسره يستند إلى رفض الأساس الديني الغيبي للهوية اليهودية ويحل محلها فكرة الثقافة اليهودية المستقلة

و «الخصوصية اليهودية» تعبير يفترض وجود سمات وخصائص (ثقافية أو عرقية) ثابتة، مقصورة على أعضاء جماعات يهودية، وهي التي تمنحهم خصوصيتهم وتفردهم وهي التي تحدد سلوكهم أيما كانوا وهي التي تشكل إطاراً حقيقياً لوجدانهم ولرؤيتهم للكون. أما سماتهم وخصائصهم الأخرى (غير اليهودية) فهي سمات وخصائص سطحية لا ترتبط بصميم وجودهم أو وجدانهم وفكرة الخصوصية اليهودية وانفرد اليهودي فكرة محورية في كافة الأدبيات الصهيونية والمعادية لليهود، إذ إن أعضاء الفريقين يرون أن ثمة طبيعة بشرية أو هوية ثقافية يهودية مستقلة، ويدّعي أعضاء الفريق الأول إلى أنها مصدر إبداع اليهود وإنتاجيتهم وحركيتهم بينما يرى أعضاء الفريق الثاني أنها مصدر عدمية اليهود وتخريبهم بل وإجرامهم ورغم اختلاف نتائج لثنى يصل إليها أعضاء الفريقين إلا أن انقدمات الفلسفية والافتراضات الفكرية واحدة

ومفهوم الخصوصية يهودية مرتبط بعام الارتباط بمفهوم الثقافة اليهودية المستقلة وسرور على مفهوم الثقافة اليهودية المستقلة كمدخل لدراسة الخصوصية اليهودية

استقلال الثقافة اليهودية

وتحس مذهب إلى أنه يمكن القول بأن ثمة تشكيلين حضاريين «يهوديين» يتمتعان بقدر محدود من الاستقلال عما حولهما من تشكيلات حضارية

١ - الثقافة العبرية القديمة، التي تمتعت بقدر من الاستقلال داخل التشكيل الحضارى السامى فى الشرق الأوسط القديم. ومع هذا ظل هذا الاستقلال محدوداً ببقاء بسبب مساطة الحصار العبرانية وبضعف الدولة الميرانية ولقبعية الدولتين العبرانيتين (مملكة يهود ومملكة إسرائيل) للإمبراطوريات الكبرى فى الشرق الأوسط القديم (مصرية - آشورية - البابلية - الفارسية) ولقبعية السياسية، خاصة فى العصور القديمة، كانت تؤدى إلى تبعية ثقافته بل وأحياناً دينيه، وبد، استعارت الثقافة العبرانية الكثير من حضارات هذه الإمبراطوريات

٢ - الثقافة الإسرائيلية (أو لعبرية الحديثة) هذه الثقافة مستقلة ولا شك عن التشكيل الحضارى العربى ولكنها مع هذا لا تزال ثقافة جديدة لم تكتمل مقوماتها الحضارية بعد، كما أن الصراع الثقافى الحاد بين عشتاب اجتماعات اليهودية التى تنقلب إلى إسرائيل ومعها تغاليدها الحضارية (سفارد - أشكندر - يهود البلاد العربية - فلاشا - يعى إسرائيل من الهند - يهود بخارى - يهود قرمان - سامريون - إلخ) يجعل من العسر بلورة مثل هذه الثقافة

ولكن العنصر الأساسي الذي يهدد عملية بؤرة خطاب حضارى
إسرائيلي مستقل هو أن المجتمع الإسرائيلي مجتمعا استيطاني يدين
بالولاء الكاس بولايات المتحدة الأمريكية ويماني من تبعية اقتصادية
ومسكينة مذلة لها، فهو يدين لها بقدته وبمسواه المشي المقفوق، وبذا
فتمت اتجاه حاد نحو الأمركة يكتسح في طريقه كل الأشكال الإنسانية
الخاصة التي أحضرها استوطنون معهم من أوطانهم الأصلية وما يعمق
من هذا الاتجاه أن المجتمع الإسرائيلي مجتمع عماني تملأ، ملزم بقيم
المفعة واللذة وإشباع الشهوة والنسبة لأخلاقية والاستهلاكية وهذا
يتعارض مع محاولة التراكم الحضارى ومع ظهور النظام العالمي الجديد
والاستهلاكية انسانية، فإنه من المتوقع أن توداد لأفكار سونا

ويختلف الحضارة العبرانية القديمة وثقافة الإسرائيلية الجديدة
لا يمكن الحديث عن ثقافة أو حضارة يهودية مستقلة أو شبه مستقلة
فاليهود، مثلهم مثل كافة أعضاء الجماعات والأقليات الدينية والعرقية
الأخرى، يقفون مع ثقافة الأغلبية التي يعيشون في كنفها ويستوحيون
قيمها وثقافتها ولفتها وإن كان هناك درجة من الاستقلال لكل جماعة
يهودية عن الأغلبية، فإن هذا الاستقلال لا يختلف عن استقلال الأقليات
الأخرى عن الأغلبية، كما أنه لا يعنى بالضرورة أن ثمة عنصراً عالمياً
مشتركاً بين كل جماعة يهودية وأخرى، فالعبرانيون، منذ ظهورهم في
التاريخ تبو حصوات الأمم لأخرى، ابتداء من اللغة، مروراً بالفاهيم
الدينية، وانتهاءً بالطراز المعماري وعلى سبيل المثال، لا يعرف طراز

يهودى معماري، أو فن يهودى مستقل، فقد كان هيكلي مسيحيان يتبع
الهرارز الآشوري القرموسى (لصرى)، ولم يكن يختلف كثيراً عن الهيكل
الكنعانيه وكذلك تتبع المعابد اليهودية في العالم العربي بطوار العربى
أما جنوب الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر، فكانت
المعابد اليهودية فيه تُبنى على الطراز النيوكلاسيكى السائد هناك، وذلك
والفنانون التشكيليون اليهود في العصر الحديث، أمثال مارك شاغال،
ينتفون إلى تراث في قريسي ولا يمكن رؤيتهم في إطار ثقافة يهودية
مستقلة ولا يعرف أيضاً صوت أدبي يهودى مستقل، فالأديباء اليهود
العرب في انجاسية والإسلام اتبعوا التقاليد السائدة في عصرهم وكذلك
لأديباء اليهود في الولايات المتحدة وإنجلترا، فهذههم مرتبط بالثقافة
الدى يفتنون به، وهذا أمر طبيعى.

لا توجد إذن ثقافة يهودية مستقلة، هائلة، تحدد وجدان اليهود
وسلوكلهم وبما توجد ثقافات يهودية مختلفة باختلاف التشكيل
الحضارى الذى يوجد اليهود داخله ولذا يجدر بما أن نتحدث عن ثقافة
عربية يهودية أو ثقافة عربية يهودية، وبذا نخفف من مستوى التعميم
حتى يتلاءم مع الظاهر موضع الدراسة ولكننا لو فعلنا ذلك فإننا
سنكتشف، على سبيل المثال، أن الثقافة العربية اليهودية هي، في ملامحها
الأمر، جزء من الثقافة العربية، ولا توجد ملامح يهودية خاصة إلا هي
بعض الموضوعات وبعض المصاميم المختلفة إذ تظل البيئة العامة بيئة
عربية والنزوب مثلاً يعقوب مسوع وشهرته «أبو نظارة» أحد رواد

المسرح والصحافة الساخرة، وأحد رواد الحركة القومية في مصر كتب عدة مسرحيات بالعامية لبعثت إلى أن صنعت الحكومة في عام ١٨٧٢ وجه هجومه ضد الإنجليز الذي كانوا قد احتلوا مصر وبشير أيو نظارة قضية الهوية اليهودية والثقافة اليهودية، إذ تصنفه لرجع الصهيونية باعتباره مثقفاً يهودياً وهو تصنيف لا يعبر أي من الجوانب الهامة من حياته، أدبية كانت أم سياسية، وهي حياة لا تفهم في كليتها إلا بالعودة إلى حركات المجتمع المصري وتقاليد الفكاهة المصرية وحركة التحرر الوطني في مصر في أواخر القرن التاسع عشر ولأوائل القرن العشرين ولتأويل على سبيل التجربة أن نفس سيرة حياته الشخصية والفكرية في إطار الجيتو اليهودي في شرق أوروبا أو قصة لمجرح اليهودية في الولايات المتحدة أو عنصرية يهود جنوب إفريقيا، بوصفت ذلك لاكتشفت مدى صغر مثل هذا النموذج التفسيري الذي يعترض وجود ثقافة يهودية واحدة عالمية

وقل نفس الشيء عن الفنان المصري داود حسني، فهو ملحن وموسيقي مصري يهودي ويعرف اسمه بموسميين من أمثال سيد درويش وكامل الخلعي حيث لعب دوراً بارزاً في نهضة الموسيقى في مصر وفي إرثها في العقود الأولى من القرن العشرين. وقد تعبير دلود حسني بشكل خاص في مسرح انساني المصري حيث لحن كثيراً من المسرحيات الغنائية وكان أول من قام بملحنين أول أوبرا مصرية هي «شمعون ودليلة»، كما لحن أوبرا أخرى هي «ليلة كليوباترا» التي نقها حسين فوزي. وقد

تتلמד على يديه كثير من المطربين والمطربات الذين حققوا شهرة واسعة
فيما بعد مثل أم كلثوم وأسمهان.

ونقوم الإذاعة الإسرائيلية بالإشارة إلى داود حسمى باعتباره موسيقاراً
يهودياً، وهو أمر يستحق نقاش دول شك، إذ إننا لو حاولنا البحث عن
أى مكون يهودى فى موسيقاه لأعقتنا الحيلة ولذا يدعش كثير من
المصريين الذين يعرفون أغانيه وأدواره، كم يدعش كثير من المتخصصين
الذين درسوا موسيقاه، حينما يعرفون أنه «يهودى» ومن ناحية أخرى،
فإنه يرغم تميزه داخل الحضارة العربية الحديثة، ويرغم ديموع صيته،
فإن كثيراً من الموسوعات والدراسات التى تتناول ما يسمى «الثقافة
اليهودية» لا تذكر سعة «الثقافة اليهودية عادة ما تسمى عندهم الثقافة
اليديشية أو ثقافة يهود العالم القريب»

وإذا أردنا بورة وجهه نظراً بشكل أكثر حدة (وربما طرافة) وإذا
أردنا أن نبين المقدرة التفسيرية لنموذجنا المقترح (فى مقابل لنموذج
الصهيوى) القائل بالثقافة اليهودية ووحدةها) فننظر إلى ظاهرة مثل
الرقص الشرعى الذى يقال له البلدى (أى هر البطن) كان يوجد لمديد
من الرقصات البصريات اليهوديات فى (كباريهات القاهرة) فى فترة
الأربعينيات. ويوجد عدد لا بأس به ممن الآن فى الولايات المتحدة
(خاصة كاليفورنيا). ويوجد عدد من الرقصات «البلدى» فى الدوب
الصهيونية، بل وتوجد مدرسة متخصصة لتدريس هذا الفن فى إسرائيل
(وهو آثار المتدينون اليهود ضيقه بدله برقص الفاضحة، هناك إحدى

جلسات الكنيست) هل أصبح لرقص الشرقى بدال «فد يهودي» وجرنا من «التراث اليهودي» أم أنه ظل فدا شرقيا، ولا يمكن فهمه أو حتى فهم اشغال بعض اليهوديات به، إلا في إطار آليات وحركات الحصار المريبة؟

وستضح القدر بتفسيره لمودجما التفسيرى المقترح (عدم وجود ثقافة يهودية واحدة) حبيب مطيعه هي الجماعات اليهودية في الحضارة الغربية، إن سلاحظ أنه لا توجد ثقافة يهودية غربية واحدة، وإنما ثقافات يهودية بعدد لدون التي يتواجد فيها أعضاء الجماعات اليهودية، وثقافة يهود إسبانيا (السفارد) هي ثقافة إسبانية، تصب مثلما أن ثقافة يهود ألمانيا ثقافة ألمانية، وثقافة يهود إيطاليا ثقافة إيطالية وثقافة يهود أمريكا ثقافة أمريكية وهكذا ويقول المؤلف الإنجليزى اليهودى ارثر كوستنر. ن ما يُعرف بالتراث اليهودى، و للثقافة اليهودية (بمعنى عام لا بمعنى لىنى وحسب) أمر ليس من السهل تعريفه إذ إن كل ما يحصر من أعضاء الجماعات اليهودية في العالم ليس يهوديا بالمعنى المحدد وليس جريا من تراث يهودى هائم والإنجازات الفلسفية والعلمية والفنية لليهود تتوقف على معطيات ثقافة الشعوب الأخرى وحضاراتها

الثقف اليهودى: من هو؟

والمودج التفسيرى الصهيونى بافتراضه وجود ثقافة يهودية واحدة مستقلة يخفق بشكلات، لا يحصر بها بخصوص هوية تعريف ثقافى اليهودى. فلا يوجد نمط واحد لتساو انتقاص أو الأدباء اليهود

سمووعات انيهودية، فهذا من يتناول موضوعات ليهودية من منظور يهودي ما مثل الروائي الصهيوني الأمريكي مشير بقين ولكن هناك أيضاً من يتناولها من منظور معاد ليهود مثل الروائي الأمريكي (ناثانيال وست)، وثمة فريق ثالث يتجهن موضوع اليهودي تعاماً في كل كتاباته او في معظمها مثل الناقد الأمريكي اليهودي نيونيل ترلنج وهناك فريق رابع يتناول موضوع اليهودي ولكنه يضعه في سياق إنساني عام ويرى أن غربة اليهودي الحادة إن هي لا تتميز عن أزمة الإنسان (العلماني) الحديث، كما يفعل المخرج السينمائي الأمريكي وودي سيدن وروائي الروسي أيزاك بابس وهذا التنوع يجعل من تعسير إطلاق اصطلاح «مثقّف يهودي» على كل هؤلاء. وفي عام ١٩٨٩، صدر كتاب بعنوان The Blackwell Companion to Jewish Culture (أي دليل بلاكويل للثقافة اليهودية) تكن هذا المعجم لا يضم سوى أسماء المثقفين اليهود باحراً لتشكيل الحضارة العربية، واستبعد كافة مثقفين اليهود من الشرق مثل يعقوب صبور ودود حسني وغيرهما، وليس محزوري هذا المعجم قد فعلوا ذلك ليعرضوا نوعاً من الوحدة عليه ولكن بوحدة في هذه الحالة هي وحدة غريبه وليست يهوديه

وبكـ انشكلة الأخرى هي أن هذا المعجم يضم أسماء مثقفين يهود معادين بشكل أساسي لليهودية ولا يمكن فهم فكرهم إلا في إطار تعاليد معاداة اليهود في الحضارة العربية، فهل يصنّف هؤلاء على أنهم مثقفون يهود يسيرون من ثقافة يهودية، بهما يستبعد المثقفون اليهود الشرقيون؟

وهناك مشكلة ثالثة وهي مجموعة المثقفين اليهود الذين يؤكدون انتمائهم للحضارة المسيحية باعتبارها مصدراً بوحيتهم وبرؤيتهم للكون، مثل بوريس باسترناك، وإيليا هربرج (في مرحلة من مراحل حياته) من هناك فيلسوف يسمّى ليف شستوف ظهر اسمه في كذاب عن أهم ثلاثة فلاسفة يهود في العصر الحدي ومعه مارتن بوبر وروزنفايخ ولكن المعجم الذي نتحدث عنه لم يورد اسمه لسبب وجيه هو أن هذا الفيلسوف الذي وُعدّ لأم يهودية يعتبر فيلسوفاً مسيحياً لأنه يتحدث عن واحدة صلب المسيح باعتبارها أهم حدث تاريخي ولكن رغم استبعاد معجم بلاكويل لاسمه، فإننا نجد أن اسمه ورد في الموسوعة اليهودية وهناك أيضاً حدة عموم تشومسكي، وهو من أشهر علماء اللغة في العصر الحديث وبعبارة العبرية وهاش بعض الوقت في إسرائيل، ومع هذا تهمله كل لموسوعات اليهودية ربما بسبب عدائه لإسرائيل والصهيونية فهل موقف المثقف اليهودي السياسي يسقط عن إشيته اليهودية؟

وانكارنا لوجود ثقافة يهودية مستقلة ومثقفين يهود خاصين لا يعنى إنكار وجود مكون يهودي أو عناصر يهودية مستقلة كل ما نذهب إليه أن مثل هذه العناصر، إن وجدت، فليس بها مركزية تفسيرية، أي أنه لتفسير بنية فكر فيلسوف أو مفكر يهودي ما، وطبيعة أدب أديب يهودي ما، فعلياً تبني نماذج تفسيرية مشتقة من الحضارة التي ينتمي إليها هذا المفكر أو الأديب اليهودي بدلاً من العودة للسورة والتلمود وتاريخ العبرانيين والكنعانيين (كما يفعل الصهيونية والمعادون لليهود). فالنماذج

المشتقة من تلك الحضارة ذات مقبرة تفسيرية تقوى بمراحل مقدرة العناصر
لمشتقة من الثقافة اليهودية ويمكن سرسه العناصر اليهودية باعتبارها
عناصر مكملة، دون أن نكتسب مركزية تفسيرية انطلاقاً من هذا الإطار
تفسيري نظرح في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج
تفسيرياً جديداً، مشتقاً من الحضارة الغربية الحديثة فنحن نذهب إلى
القول بأن هذه الحضارة قد هيمن عليها بالتدرج (منذ عصر النهضة)
ما قسمه بالنموذج الحلوى الكموسى والحلولية الكونية بمعنى أن الإله قد
جد في المادة (الطبيعة والإنسان) وأصبح غير مفارق لها، وبذلك أصبح
العدم (الإنسان والطبيعة) مكثفياً بدته، لا يحتاج إلى قوة خارجية منه،
ويمكن تفسيره بدراسة قوانين الحركة الكامنة (الحالة) فيه، هذه الحلولية
الكونية هي الإطار نلتقى العام للحضارة الغربية بمقالاتها المادية منذ
فراستيس ويكون وديكارت مرور بهيجس وامتة بنيتشه (الذى ذكر أوربا
بأن الإله الحال في المدة قد مات وأصبح غير قادر على أن يعطي للعالم
معنى) والحلولية الكونية هي الأرضية التي يدخل عليها اليهود إلى
الحضارة الغربية وسيادة هذه الرؤية الحلولية الكونية، أمر لا دخل
للإله في، وإنما خاضع لحركات الحضارة نمرية

هذا هو النموذج التفسيري الأكبر عند هذه اللحظة يمكننا أن نشير إلى
بعض العناصر اليهودية فتراها تشير إلى أن العقيدة اليهودية ذاتها كانت قد
أصبحت عقيدة حلونية كمنوية بعد هيمنة الفبالاه عليها منذ القرن الرابع
عشر، وأن التراث الحلوى للمعتق اليهود في عصر الحديث (التيقنة)

بأسبهموزا وانتهاءً بدريدا) قد ساهم ولا شك في جعلهم أكثر استعداداً لقبول الحضارة العربية الحديثة، بحلوليتها وكمونيتها ويمكن أن نشير إلى تصاعد معدلات تعلمية بين الجماعات اليهودية، بدرجات تفوق المعدلات سائدة في المجتمع العربي (كما هو الحال دائماً مع الأقليات) ويمكن أن نشير كذلك إلى أن إحساس أعضاء الجماعات اليهودية بالعربية وعدم الأمن (كما هو الحال أيضاً مع أعضاء الأقليات) جعلهم رؤية سالحة وخصبة لتقبل الحضارة العربية الحديثة

الشك المعرفي والأخلاقي

ويمكن أخيراً أن نذكر أن موقف كثير من المثقفين اليهود يعمم بأنه موقف مفدى جذرى من الحضارة العربية، يتسم بالشك المعرفي والأخلاقي وسيطره الفلسفات العدمية كل هذه لعناصر اليهودية ساهمت ولا شك في أن تجعل المثقفين اليهود أكثر استعداداً لتقبل الحضارة العربية الحديثة وأكثر قنرة على التعبير عنها - أي أن الكون اليهودي في ثقافة المثقف يهودي العربي قد يعبر حدة نبرته وجذريتها وبعق هدميتها وحلوليتها كما قد يعبر تزايد عدد المثقفين يهود من الثوريين والعدميين وبعلة العقلانية المادية، ولكنه لا يعبر بأية حال ظهور استظومة الحضارية العربية الحديثة العقلانية المادية، فهذا مرتبط كما نُسبنا باليات المجتمع العربي، الثقافية والاقتصادية.

بين إننا نذهب إلى أن بروز أعضاء الجماعات اليهودية في الحضارة العربية الحديثة، سجم عن امتعائهم إلى هذه الحضارة واندماجهم فيها

واستيعابهم لها ، لا انزعاجهم عنها ويتزايد بروزهم بمقدار تخليهم عن
عزلتهم واستقلالهم وليس من قبيل الصدفة أن أول مفكر يهودي بارز في
الحضارة الغربية الحديثة هو إسبينوزا الذي تخلى عن يهوديته وقد أعلن
هائمتي أن التنصر هو تأشيرته الدخول للحضرة الغربية ، فنصر هو بانه
وكم فعل أبو ماركس وأولاد هرتزل وأولاد موسى مندسور، ونصف يهود
برلين في القرن التاسع عشر إلخ. ولكن الأتي هو القول إن التخلي
عن العقيدة اليهودية (وليس بالضرورة التنصر) هو تأشيرته بدخول فليس
مطلوباً من أحد التنصر، باعتبار أن مرجعية الحضارة الغربية لم تعد
المسيحية وإنما العقلانية المادية أو الحلولية الكمونية ويبيغى الإشارة إلى
أن الكمون اليهودي قد ينصرف إن بنية فكر لنتفك اليهودي وإلى
الموضوعات الكامنة، وليس إلى مضمونها الواضح بل إنه يمكن أن يكون
المضمون بواضح عالمياً وإنسانياً بل ومماتياً لليهود أو الصهيونية، وتظل
البنية والمقولات الأساسية الكامنة يهودية بالمعنى المحدد الذي طرحه،
كما هو الحال مع إسبينوزا وبريدا وفرويد وكافكا فاسبينوزا، وقف موقف
رفضاً تعاماً لكل الأديان، بل واختص اليهودية بالهجوم الشرس، وهو
في هذا لا يختلف كثيراً عن كثير من المفكرين لغربيين من عنصر
النهضة، وهيمنة العقلانية المادية ومع هذا لا يمكن فهم حدة هذا لرفض
وهذا الهجوم، لا بالمودة للقبالة التورماتية والتراث المنارسي

واعتماد فرويد الحاد بنجس يمكن رؤيته كتعبير طبيعي عن تصاعد
معدلات لعلمته ومحاولة رد كل شيء إلى عنصر واحد كام/حال (الجنس

في حالة فرويد) ولكن القبالة النوريسية كانت قد قامت بإنجاز هذا معرفيًا وبشكل مثبوت قبل ذلك بمدة قرون وقد وصف أحد المراجع القبالة بأنها جنست إله، وألهمت اجنيس، أي جعلته نموذجًا تفسيريًا كليًا ونهائيًا، يُردُّ له كل شيء وهذا ما فعله فرويد

وتلجأ بعض المراجع لحيلة رخيصة لتأكيد وجود حضارة يهودية مستقلة وهوية يهودية ثقافية مستقلة دبعه منها، فتتحدث موسوعة الثقافة اليهودية عن هذا الـ «الري اليهودي الصميم» الذي يرتديه يهود مغرب ولدي يسمى Keswa Kubra وهي «الكسوة الكبيرة» وتُكتب الكلمة بحروف لاتينية دون ترجمة، فيتصور القارئ الذي لا يعرف العربية أن هذه كلمة عبرية أو كلمة عربية عبرية! ويوجد للري اليهودي الصميم شيء يسمى Cuna وهو الكم. ويأكل أعضاء الجماعات اليهودية في بخاري طعامًا يهوديًا مميزً يسمى Yachni أي الياسمين، أما في اليمن فهم يأكلون طعامًا خاصًا للغاية لم نسمع عنه قط من قبل يسمى Khubz أي خبز

أما في إسرائيل، بلد عجائب، فيأكلون طعامًا موهلاً في يهوديته اسمه Falafel أي الفلفل والتي اكتشفت أنها طعام إسرائيلي فريد حيثما كنت أعيش في مدينة نيويورك ورؤساء يهود بفلاشا، سوع خاص من الحاخامات، يسموهم «قصيم» وهي صيغة الجمع للعبرية لكلمة «قص» العربية (وربما الأمهرية) التي اقتبسها يهود بفلاشا الذي دخلت عنى يهوديتهم عناصر مسيحية كثيرة! وهبما يحاول الإسرائيليون أن يرفضوا

فهم يرقصون رقصة يهودية صميمية تسمى «الهور» (من أصل روماني) أو رقصة يهودية أخرى. تسمى «الدبكة»! وحيثما ترتدى مضفلات شركه المال رى الفلاحه فلسطينية، فهذا زى إسرائيلي سابع من الثقافه اليهودية. وحيثما أسس متحف فى قري حيفا على هيئة قرية هربية اخبر كتّيب المعرض الزائر أن هذه قرية من حوض البحر الأبيض المتوسط حتى يمكن تحاشي ذكر كلمة «فلسطين»، وحتى يخفى لأهل الحقيقة المنتج بحفري. لكن هل يمكن تأسيس ثقافة من خلال مثل هذا التلغيق الرخيص والسف اللغوي لدى بيعت على لرائاء* قد يدجج بصهاوية فى تأسس بعض لمستوطنات من خلال العنف والبطش عسكري ولكن التجدر الحضارى أمر آخر و لقلاع الصليبية المهجورة التى لا يمكن أحد على أطلانها، شاهد على ذلك

لا يوجد استقلال لقامى يهودى، ومن ثم فلا يمكن تحديث عن خصوصية يهودية، إذ إن مفهوم الخصوصية يمس له ما يباينه فى واقع اليهود الثقافى فثقافات أعضاء الجماعات اليهودية بل ومعتقداتهم الدينية تنقسم بقدر عال من عدم التجانس المانع من وجودهم فى مجتمعات شتى يتكيفون مع حصارانها ويستوعبونها ويستعدون خصوصياتهم منها (لا خصوصية يهودية واحدة عالمية، كما يدعى الصهاينة والمعادون لليهود) ولذا فقد يكون من الأرق الحديث عن خصوصيات الجماعات اليهودية، تمامًا مثل حديث عن ثقافات الجماعات اليهودية، لا هن خصوصية يهودية واحدة عالمية مستعدة من معجم حضارى و حد

الفصل الثالث

إشكالية الإحصاءات

حينما نعرض إحدى الصحف أن عدد سكان إنجلترا هو كذا فمعنى عادة ما نقبل هذا (كحقيقة صلبة)، فالأرقام أرقام، وكما نقول دائماً (واحد + واحد = اثنين) ولطناً الأرقام هي واقع الأمر ليست حقائق صلبة، إذ يمكننا تفسيرها وتحليلها والوصول إلى نتائج مختلفة حسب المنهج الذي نستخدمه. ولذا، لو دقق النظر لوجدنا أن بساطة الأرقام تخفي، لكثير من الإشكالات. فيمكن مثلاً أن نسأل: هل هذا هو عدد سكان إنجلترا بمعنى المقيمين فيها، بما في ذلك المهاجرون وطلابنا السياسيون، أم أنها معنى لمواطني إنجلترا؟ وإن كنا نسمي لوطنيين الإنجليز، فهل هذا يضم من منهم على وشك الحصول على الجنسية؟ وهل يضم أيضاً المواطنين الإنجليز المقيمين في الخارج؟ وماذا عن الأقليات، هل ذكرت أعدادهم؟ وهل هناك ذكر للأقلية الإسلامية، أم أن مفهوم الأقلية هي إنجلترا، مفهوم عرقي وحسب؟ وهذا قليل من كثير.

يهودى بشكل ما

وإذا كان الشعب لإتجليزي مسألة خلافية، فإن تعداد يهود إشكالية لم يظهر بها حل بعد. ومن أهم هذه الإشكالات تعريف

«اليهودى» فهو اليهودى هو من ينبع تعاليم دينه أم أنه من يرى نفسه يهوديًا أم هو من يراه الآخرون كذلك؟ وفى هذا العالم الذى تزايدت فيه معدلات العلمنة، يسود التعريف العلماني للهوية اليهودية (اليهودى هو من يرى نفسه كذلك) وفى غياب مؤسسة دينية مركزية تقوم بعملية التعريف والفرز، تتدخل الحدود ويصعب تعريف اليهودى. ولذا، نجد ان بعضًا من فهر اليهود قد يختارون قضاياتهم هجأة ويقررون أنهم يهود، والعكس أيضًا ممكن.

ولإيضاح بعض جوانب المشكلة التى يجابهها دارسوا تعداد الجماعات اليهودية فى الولايات المتحدة، يمكن أن نشير إلى النقاط التالية

١ - يضم الكتاب السموى الأمريكى اليهودى (١٩٩١) دراسة عن تعداد يهود العالم وقد رى كاتب أعمال أن يتناول موضوعه من خلال ثلاثة تعريفات أو مستويات:

• القطاع الأساسى من السكان اليهود (بالإنجليزية: *core Jewish population*) ويضم كل يهودى يعلن أنه يهودى. بعض النظر عن كون مضمون يهوديته حقيقى أو وهمى، دينى أو إثنى، قوى أو ضعيف، وعادة ما توضع هذه المجموعة معاً فى «قطاع الهامشى من السكان اليهود (بالإنجليزية: *periphera Jewish population*)» وهى تضم لقطاعين التاليين

• القطاع الموسع من السكان اليهود (بالإنجليزية: *extended Jewish population*) ويضم القطاع الأساسى إلى

جانب اليهود الذين تمكنوا من دديهم (وتعبوا) أو لم يتمكنوا ذلك (آخر)
وتكنهم من أصل يهودي

■ القطاع الممتد من السكان اليهود (بالإنجليزية: enlarged Jewish population) وتضم إلى جانب القطاعين
سابقين كل من يعيش في بيت يهودي (سواء أكان يهوديًا أو غير
يهودي)

وبطبيعة الحال ، تتزايد الأعداد وتتفاقم حسب المعيار المستخدم.
وفي عصر وصلت فيه نسبة الزواج المختلط إلى ما يزيد على ٥٠٪ ، فإن
القطاع الثالث يضم عددًا كبيرًا للغاية ، مع أن تضخم هذا القطاع هو من
واقع الأمر دليل على تزايد اندماج اليهود واختلاطهم. وقد بلغت الحيرة
بأحد المراجع هذا جعله يستخدم اصطلاح «يهودي بشكل أو آخر»
«يهودي بشكل ما» (بالإنجليزية: Jewish in some way) لحل مشكلة التعريف

٢ - نشرت مؤخرًا دراسة ذكرت أن عدد يهود الولايات المتحدة هو ٦.٨
مليون. ثم أضافت الدراسة أن ١.٢ مليون منهم يهود لا يؤمنون
باليهودية ويختدمون في مجتمعهم بسرعة (ومن المؤكد أن أعدادًا
كبيرة منهم ينضمون للعبادات الجديدة مثل البهائية وهنري
كرشند) ومنهم ٢.٣ مليون يمارسون عقيدة أخرى هي المسيحية
أي أنه بين ٦.٨ مليون يهودي يوجد ٢.٥ مليون يمارسون عبادات
أخرى. وورد في دراسة ثانية أن عدد يهود الولايات المتحدة

٨,٤٠٠,٠٠٠ وهو رقم أعلى بكثير من الرقم السابق. ولكن الدراسة تصنيف أن من بينهم ٢,٧٠,٠٠٠ من (أصول يهودية) ولا يعتبرون أنفسهم يهوداً (أي أن العدد هو ٥,٧٠٠,٠٠٠) والسؤال الذى يطرح نفسه هو إن كان هؤلاء ليسوا يهودا من منظور بشريعة اليهودية، ولا من منظور الإثنية اليهودية، ولا من منظور أنفسهم أو جيرانهم، فلماذا تصنفهم التعداد أساساً؟ وهل الهدف هو خلق إشكاليات حيث لا إشكاليات؟ أم الهدف هو زيادة العدد لضخيم (القوة اليهودية)؟

٣ من المشاكل الكبرى التى تواجه دراسة تعدد اليهود فى العالم ، بخاصة فى الولايات المتحدة، أعضاء الزيجات المختلطة وأنسابهم. فاحياناً، يدخل يهودى فى علاقة زوجية مع طرف غير يهودى، ثم يتهود الطرف الآخر بشكك صورى، ويعتبر نفسه يهودياً لرضا الطرف اليهودى و لاعتقده. ثم قد يُعصر الطرف اليهودى على أن يكون الأطفال يهوداً، فيوافق الطرف غير اليهودى. ولكن ما يحدث فى معظم الأحيان أن الأطفال ينشأون يهوداً اسمياً دون أن يكونوا يهوداً فعلاً ولأن اليهودية الأرثوذكسية لا تعترف بأنساب الزيجات المختلطة، لو بالمتهودين على يد حاخام إصلاحى أو محافظ، أو بمن وُلد لأب يهودى، فإن هناك عدداً كبيراً من اليهود فى الولايات المتحدة يهود، اسمياً وحسب، أو يهود من وجهة نظر إصلاحية، ومحافظة أو إثنية، ولكنهم غير يهود من وجهة نظر أرثوذكسية.

موت الشعب اليهودي

من نقضها التي تُشار الآن في علم الاجتماع الغربي قضية (موت الشعب اليهودي)، وهي عبارة وضعها عدم لاجتماع لفرنسي (اليهودي) جورج فريدمان، وتشير إلى ظاهرة تناقص أعضاء لجماعات اليهودية في العالم إلى درجة ختفاء بعض هذه الجماعات وتحول الباقي منها إلى جماعات صغيرة (لا أهمية لها من الناحية الإحصائية). ورغم أن فريدمان طرح هذه الإشكالية في ستيميات، إلا أنه لم رصدها مع بداية ختفاء اليهود الألمان (كُنت عام ١٩٤٨) مما سماء الضعف بسكاني الذي قد يؤدي إلى ختفاء يهود ألمانيا تماماً وفي عام ١٩٤٤ أُشهر يوريا إنجمن في كتابه ظهور اليهود في العالم الغربي، ما سماء العمية ذات الأبعاد الثلاثة: تناقص المواليد - تزايد الوفيات - تزايد معدلات الاندماج، والتي ستؤدي إلى تفسخ السكان اليهود بالكامل

يمكن أن يورد الأسباب التالية التي تؤدي إلى تناقص أعداد اليهود عملاً (من دون حدوث مذابح أو انتشار أوبئة)

- ١) تزايد معدلات الاندماج، فكثير من اليهود الذين ينتمون بخسبون هويتهم اليهودية ونداءهم اليهودي ويمسجلون أنفسهم بحسبانهم غير يهود ويبيع عدد اليهود الذين أحقوا هويتهم في الاتحاد السوفيتي مليوناً ونصف المليون تقريباً كما يوجد آلاف من اليهود الذين هاجروا إلى أمريكا اللاتينية بشهادات تعيد أصدرها الفاتيكان لهم في الإرهاب تقارن وقد أثروا أن يحتفظوا بهويتهم الجديدة

٢ من أهم أسباب اختفاء اليهود الزواج المختلط إلى درجة لم يشهدها يهود العالم من قبل. وقد بلغت معدلات الزواج المختلط في الولايات المتحدة ما يزيد على ٧٥٠٪، وبلغت في الاتحاد السوفيتي أحياناً ٨٠٪، وذلك في الأماكن التي تتركز فيها أقليات يهودية صغيرة بعيدة عن مراكز التجمعات اليهودية الكبرى. وهي كثير من الأحيان يُسقط الزواج اليهودي في درجة المختلطة هوته حتى لا يسبب الحرج لزوجته ولا يمس عدد المتهودين، من أجل الزواج، من عدد انتصرين للسبب نفسه. ويلاحظ أنه بتأثير حركة لتتركز حول الأنثى، بدأت الأنثى اليهودية، التي كانت تعد في الماضي بمورد القوي للهويات اليهودية تندمج في المجتمع الذي يعيش في كنفه بمعدلات تقترب من معدلات الذكور، وهي تُقيل الآن على الزواج المختلط بعد أن كان ذلك مقصوداً تقريباً على الذكور. ويلاحظ أن أبناء الزواج المختلط يكونون عادةً إما غير يهود ومُ غير مكترئين بيهودية.

أما بالنسبة إلى انخفاض نسبة المواليد بين أعضاء الجماعات اليهودية، فمن المعروف أنها تصل في الوقت الحاضر إلى وحدة من أقل النسب في العالم. إذ بلغت ١٦ في الألف ويعود ذلك إلى الأسباب التالية (مع ملاحظة أن بعض هذه الأسباب ليس مقصوداً على أعضاء لجماعات اليهودية، وإنما هو ظاهرة عامة في المجتمعات الغربية التي تواجه بالمتقدمة).

١ تفشي قيم اللذة والغربة والأنانية في المجتمعات المسماة متقدمة، وهي قيم تتناقض مع فكرة لأسرة ولزواج وبجانب الأطفال

وتشملهم، بكل ما يتضمن ذلك من قيد على الحرية ونكسب عن
المتعة بحسية المباشرة

٢ - البرج المتأخر، وهو ظاهرة عامة في هذه المجتمعات ناجمة عن
تصنع مؤسسة الأسرة، وعن امتداد لوقت الذي تستغرقه لعملية
التمهيم، وتأخر الاستقلال الاقتصادي للأبناء

٣ - ترايد عدد الشذوذ جنسياً في هذه المجتمعات بنسبة نفس في بعض
مدن الغرب إلى ١/٣٠، وهناك نسبة عالية منهم من أعضاء
الجماعات اليهودية وينتمى معظم الشذوذ إلى المرحلة العمرية
المنشطة جنسياً، وهذا يعني أن عدداً كبيراً من الذكور والإناث
يسحب من عملية الإنجاب

٤ - مسحاب كثير من النساء من عملية الإنجاب في المجتمعات المسماة
متقدمة يتأثير من حركة التمركز حول الأم، التي تجعل أي نشاط
أنثوي خاص (مثل الإنجاب) 'مراً سبباً' أو معوقاً بنشاط المرأة في
الحياة العامة ومن المعروف أن هدفاً كبيراً من قيادات هذه الحركة
من اليهوديات، وأن نسبة اليهوديات المعرضات فيها تفوق المعدل
العام.

٥ - تفسخ الأسرة اليهودية وتريد نسبة الطلاق، وهذا أمران يزيدان في
الإعجاب عن الإنجاب

٦ - تركز أعضاء الجماعات اليهودية في المدن، فهناك خمس مدن
أمريكية تضم أكثر من نصف الجماعة اليهودية في الولايات المتحدة

(بضم نيويورك ١٠،٤٥٠،٠٠٠، نوس أنجلوس ٤،٩٠،٠٠٠، شيكاغو
 لكبرى ٣،٤٨،٠٠٠، ميامي ١،٩٩،٠٠٠، فيلادلفيا ٢،٥٠،٠٠٠). وأكثر
 من نصف مجموع يهود أمريكا نلاطينية (٢٠١،٠٠٠) موجود في
 بوينس ايريس، وأكثر من نصف يهود جنوب أمريكا (٦٣،٠٠٠)
 موجود في جوهانسبرج، وأكثر من نصف يهود فرنسا (٣٨٠،٠٠٠)
 موجود في باريس، وهكذا أما النصف الثاني موزع على مدن
 كبرى أخرى، أي أن الأغلبية لعظمى من الجماعات اليهودية
 موجودة في مراكز حضرية، ومن المعروف أن المدن لم تستطع عبر
 التاريخ أن تحتفظ بكثافتها السكانية من خلال التزايد الطبيعي، لأن
 سكان المدن من أقل القطاعات البشرية خصوبة

وقد دى هذا كله إلى تناقص عدد المواليد كما أن مستوى العناية
 الصحية أخذ في التحسن، وهو ما يؤدي إلى زيادة معدلات العمر وسمة
 كبار السن الذين يعتبرون شريحة غير خصبة من السكان. ويلاحظ أن
 ١٦ / من أعضاء الجماعات اليهودية تجاوز أعمارهم ٦٥ عامًا، وتصل
 نسبة المسنين بينهم إلى ٢٩٪ أحيانًا

وقد أدى كل هذا إلى تناقص نسبة المواليد بين أعضاء الجماعات
 ليهودية، حتى أصبحت واحدة من أقل النسب في العالم. وأي جماعة
 إنسانية، حتى تعيد إنتاج نفسها بيولوجيًا، لابد أن تنجب الأنثى التي
 ينتمي إليها ٢.٩ طفل في المتوسط لكن لمزاة اليهودية في الولايات

المتحدة قد تكون أقل الإناء خصوصية في العالم فالإناء في الرحلة
 العمرية ٣٥ ٤٤ ينجبن ١,٥٧ طفلاً، أما لوحدة العمرية ٢٥ ٣٤
 (وهي المفروض أكثر امراجل خصوصية) فالإناء ينجبن فيها ٠,٨٧ أى
 أقل من طفل واحد، مما يدل على أن منحى التناقص آحد في لاردهاد
 وقد بلغ عدد اليهود ١٣,٨٣٧,٥٠٠ عام ١٩٩٧، وبلغ ١٢,٩٨٨,٦٠٠
 عام ١٩٨٢، أى أن عدد اليهود نقص بنحو المليون في هذه فترة دون
 إبادة ومن خلال تناقص طبيعي وبلغ عدد اليهود حالياً ١٣,٠٩٢,٠٠٠-
 أى أن عددهم ظل ثابتاً قرابة ربع قرن. ويتوقع معهد اليهودية المعاصرة
 التابع للجامعة العبرية بالقدس أن يصل عددهم إلى ١٣,٤٢٨,٠٠٠ عام
 ٢٠١٠. ولكن هناك توقعات أكثر تشاؤماً من منظور صهيونى فيذهب
 صموئيل لايرمان ومورتون وايفيلد إلى أن عدد يهود الولايات المتحدة
 سيصل إلى ٣,٩ مليون عام ٢٠٧٠ أما ريهامو برجمان (مركز هازهارد
 للدراسات السكانية) فهو أكثر تشاؤماً إذ يرى أنه حينما تحقن الولايات
 المتحدة بهذه القوى الثالث (٢٠٧٦) لن يتجاوز عدد يهود ٩٤٤,٠٠
 (أى أقل من مليون) مع ملاحظة أن كلمة (يهودى) كما أسلفنا
 يتلاعب بها الديموجرافيون اليهود حتى يزيلوا من اعداد اليهود في
 العالم. وفيما يلى حصص يهود في لعالم حالياً (عام ٢٠٠٠) وبعد
 عشرة أعوام (٢٠١٠)

أماكن التواجد	العدد الحادى	العدد المتوقع فى عام ٢٠١٠
إسرائيل	٤,٧٩٠,٠٠٠	٥,٦٤٤,٠٠٠
أمريكا الشمالية	٦,٠٦٤,٠٠٠	٥,٩٣٩,٠٠٠
أمريكا الوسطى والجنوبية	٤٢٨,٠٠٠	٣٩٨,٠٠٠
أوروبا	(تضم الأرجنتين وجمها ٢٠٢ ألف)	
	٦,١٣٨,٠٠٠	٦,٠٦٦,٠٠٠
	(تضم فرنسا وجمها ٥٢٢ ألف)	
الاتحاد السوفيتى لسابق	٥٤٠,٠٠٠	٦٨٠,٠٠٠
أسي وشمال أفريقيا	٢٨,٠٠٠	٢٦,٠٠٠
جنوب أفريقيا		
+ منطقة المحيط الهندى	١٩٥,٠٠٠	١٧٥,٠٠٠
الإجمالي	١٣,٠٩٣,٠٠٠	١٣,٤٢٨,٠٠٠

المصدر - معهد اليهودية المعاصرة المسمى باسم (أ. هيرمان) واتباع
للحامي العبريه بالقدس

ويقال إن نصف يهود العالم سيكونون فى إسرائيل بحلول منتصف
القرن ليقن، وليس ذلك بسبب الهجرة، وإنما بسبب نقص التجمعات

اليهودية في الخارج، واختفاء معظمها، وتركز أغليبيتها في الولايات المتحدة

ولذا يمكننا القول إن يهود العالم سيقتسمون إلى قسمين أساسيين

١ - أما نتحدث بالعبرية في إسرائيل، ليس بها سوى علاقة وهمية بالمعتقد اليهودية أو بالتاريخ اليهودي (أي توريسم الجماعات اليهودية) وتعتمد في وجودها على حكومة الولايات المتحدة، وتوجهها الحضاري استهلاكي مقامر. ويعكس أن مستخدم هذا مصطلح جورج فريدمان للإشارة إلى الإسرائيليين بأنهم (أعيار يتحدثون العبرية)

٢ - جماعة يهودية في الولايات المتحدة، تنقسم بدورها إلى قسمين

(أ) قلة صغيرة متمسكة بمعالم لدين اليهودي، وبحاول قدر استطاعتها أن تُبقي تعاليمه وتقهم شعائره

(ب) أغلبية باهتة الهوية لا تُمارس الشعائر الدينية، وإنه تُقيم بعضها باعتباره شكلاً من أشكال التفكير وهي تحاول أن تحافظ على بتايا الموروث الثقافي اليهودي الذي يعود بجذوره إلى شرق أوروبا، على الرغم من تزايد معدلات أمركتها

وهذا يعني أن الدياسبور اليهودية ستصبح أساساً الدياسبور الأمريكية، أو لجماعة اليهودية في الولايات المتحدة أي أن أعضاء الجماعات اليهودية ستصبح جزءاً لا يتجزأ من الشعب الأمريكي، بعد

أن كانت جزءاً لا يتجزأ من تشكيل الاستيطاني الغربي (في أمريكا الشمالية واللاتينية وجنوب أفريقيا وأستراليا ونيوزيلندا) وإذا أخذنا في الاعتبار اعتماد إسرائيل شبه الكامل على الولايات المتحدة، فإنه يمكننا القول بأن يهود بعدم سيعيشون في القرن المقبل داخل الولايات المتحدة، لو أنهم سيدورون في فلكها الحضاري والاقتصادي والسياسي

ستة مليون ١٩

بدأت ظاهرة (موت الشعب اليهودي) مع نهاية القرن التاسع عشر، بعد حدوث الطفرة السكانية بثانيه (انقضى سقندولها في الفصل الثالث)، أي قبل الحريين العالميتين الأولى والثانية وهذا يمكن أن نطرح قضية (ستة الملايين) هل تم حرق ستة الملايين كما يرد في كثير من المراجع الغربية، أم أن أعداداً منهم خلت من خلال التناقض الطبيعي؟ ويمكن أن يشير إلى أن ثمة عناصر أخرى ساعدت على تصعيد هذا التناقض في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر يمكن أن نذكر منها ما يلي

١ - أسباب تؤدي إلى العزوف عن الإنجاب وإلى انخفاض الخصوبة ومعدلات التكاثر

(أ) أدت الهجرة اليهودية الكبرى في نهاية القرن التاسع عشر إلى انتقال أعداد كبيرة من اليهود إلى الولايات المتحدة الأمريكية ويقال إن هجرة اليهود قضت تقريباً على اليهود في المرحلة العبرية من عشرين إلى أربعين عاماً، وهي مرحلة الخصوبة التي تجعل بإمكان الجماعة أن تُعيد إنتاج نفسها ولإنسان المهاجر أقل خصوبة من الإنسان المستقر

(ب) كان أعضاء الجماعات اليهودية في لغرب يظلمون بدور الجماعة بوظيفة الوسيطة، أى بأعمال التجارة والمال. وكانوا، لهذا، مركزين إما في المدن أو المناطق شبه الحضرية. ومع منتصف القرن التاسع عشر، تساعد هذا الاتجاه وتزايد تركيزهم في المدن بحيث أصبحت أغليبتهم الساحلة تسكن في المدن عشية الحرب العالمية الثانية

(ج) كانت هناك عناصر أخرى أدت إلى عروف اليهود من الإنجاب، من بينها تحسن مستواهم المعيشي، والقلق الذي كان يعيشه أعضاء الجماعات اليهودية في الفترة بين لحريين وبيان الحرب العالمية الثانية، وكذلك تزايد معدلات المممة وبالتالى زيادة التوجه نحو الذمة وتحقيق الذات، الأمر الذى يقوض من برغبة في إنجاب الأطفال

وبالفعل يُلاحظ تناقص أعداد اليهود وضمهم يهود اليديشية فبعد أن كانوا يتمتعون بأعلى نسبة خصوبة وتكاثر بين شعوب الإمبراطورية القيصرية في منتصف القرن التاسع عشر، انخفضت النسبة إلى أقل النسب على الإطلاق في عام ١٩٢٦ فبعد أن كانت ٣٥,٩ في الألف، انخفضت إلى ٢٤,٨ في الألف وفي بولندا، انخفضت النسبة من ٢٨,٦ في الألف عام ١٩٠٠ إلى ١٢,٣ في الألف عام ١٩٢٥ في وارسو، وإلى ١١,٦ في الألف في بودز عام ١٩٢٥ أما يهود النمجر، فقد انخفضت النسبة بينهم من ٣٣,٩١ في الألف في بداية نقرن الحال إلى ١٠,٥ في لألف، أى أنها

انخفضت نحو ٢٣,٤ في الألف وكانت نسبة المواليد في بروسيا (اللايغ) ٥,٢ في الألف عام ١٩٣٥ وفي الألف في لندن عام ١٩٣٢ وقد حدا هذا الوضع بالكتاب انبيهود إلى التحذير من أن يهود أوروبا قد يختصمون تمامًا لأن معدلات المواليد لا تعوض الوفيات وعلى مستوى العالم ، كانت النسبة ٣٥,٥ في ألف في الفترة ١٨٢٢ - ١٨٤٠ ، انخفضت إلى ١٩,٧ في الألف في الفترة ١٨٩٨ - ١٩٠٢ ، ثم ٩,١ في الألف عام ١٩٢٩ كما أنها انخفضت إلى ما دون ذلك لمدة عشرين عام (١٩٢٩ - ١٩٤٩) وكان معدل نسبة المواليد في الفترة ١٩٠٦ - ١٩١٠ هو ٣٧ في الألف، وسبة الوفيات ٤٥ في الألف، ولزيادة الطبيعية هي ١٧ في الألف. ثم انخفضت إلى نحو اصف في نحو خمسة وعشرين عامًا، ففي الفترة ١٩٢٦-١٩٣٠ كانت نسبة المواليد هي ٢١ في الألف والوفيات ١٢ في الألف، وزيادة الطبيعية ٩ في الألف (انخفضت إلى ٨ في ألف عام ١٩٣٢) ولا توجد إحصاءات عن الفترة ١٩٣٥ - ١٩٤٩ لأنها كانت فترة الحرب، كما أنها أصبحت موضوعًا يحجم كثير من الباحثين من الخوض فيه، وإن كان يمكن القول إن منحنى الانخفاض كان آخذًا في الهبوط لأن الأسباب التي كانت تؤدي إليه لم تختلف، وإنما ازدادت حدة

٢ - عوامل تؤدي إلى الاختفاء.

(١) ابتداءً من منتصف قرن التاسع عشر كان يتم تجديد أعضاء جماعات اليهودية، وهو أمر جديد كل لجة، إذ كانوا يتمتعون

بالإعفاء من الخدمة العسكرية قبل ذلك، كما سقط منهم ضحايا بأعداد كبيرة في الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية لكن هذا المصير لا يؤدي إلى انقاص عدد يهود مباشرة عن طريق سقوطهم قتلى وحسب وإنما بشكل غير مباشر أيضاً عن طريق معدن المروءة عن الإنجاب كما أن المصير لقادة على المثال هي عادة من الذكور في سن الخصوبة

(ب) تمسّر أعداد كبيرة من اليهود، وهو شكل من الأشكال الحادة للاندماج وقد تريد أعداد عشية الحرب العالمية الثانية لأسباب عملية منها الهرب من بطش القاري. كما حصل كثير من اليهود على شهادات تعميد من الكنيسة الكاثوليكية حتى يفسر لهم دخول أمريكا للاتينية وأثرب أعداد كبيرة منهم عدم الإفصاح عن هويتهم لليهودية حتى بعد روال الخطر

(ج) ينطبق الشيء نفسه على مئات الألوف من الذين هاجروا إلى روسيا السوفيتية هرباً من اسارى فكثير منهم لم يفصح عن نتمائه اليهودي، خصوصاً من الاتحاد السوفيتي (سابقاً) كان يترث لكل شخص أن يحدد انتماءه، فلو كان الشخص يهودياً وعرف نفسه بأنه (روسي) أو (أوكراني) فإن الأمر كان متروكاً له ومع تآكل الهوية اليهودية، لم يعد هناك دافع قوى لدى كثير من اليهود للإفصاح عن هويتهم.

٣ ظروف الحرب العالمية الثانية.

لا بد أن نضيف إلى كل ذلك ظروف الحرب العالمية الثانية التي صعدت من كل العناصر السابقة وزادت حدة، ولا بد أن نأخذ في الاعتبار انتشار الأوبئة وسوء التغذية في نفس نفرة كما ينبغي الإشارة إلى بعض طرق الإبادة البطيئة غير أفران الغاز، مثل أعمال السخرة وحرب اليهود هي الجوع بمناطق مستقلة مدمجة يعملون ويعيشون فيها تحت حد الكفاف، وهو ما كان يعنى المزيد من الجوع والمرض ويُقال إن نحو ثلث سكان جيتو ورسو قُضوا بحبهم بهذه الطريقة، وأنه كان من المتوقع لهم جميعاً أن يُبادوا تماماً خلال عدة أعوام. (وهذا العنصر هو ولا شك عملية إبادة، إذ لا يهم أن يموت الضحية بأفران الغاز أو من طريق التجويع ولكننا نذكر هذا العنصر أيضاً حتى تكتمل الصورة لدينا) كما هناك الآلاف بسبب حالة بحرب ابتداءً من هدم بوفز الرهينة الصحية، وانتهاءً بالعدوات على لندن، مروراً بأحكام الإعدام نقي كان النازيون يصدرونها على ليهود وغيرهم

وإذ أخذنا في الاعتبار كل هذه العناصر يصبح من الصعب أن نعزو اختفاء ستة الملايين يهودي (أو حتى أربعة ملايين حسب بعض الإحصاءات) إلى أفران الغاز وحدها أو عمليات الإبادة كتصفية جسيمة متعددة حسب

نعم! قد يكون عدد انيهود الذين (اختفوا) هو ستة ملايين، ولكن هل (حرق) جميعهم في أفران الغاز الدرية؟ هن الأرقام حقائق صلبة فعلاً؟

الفصل الرابع

الهجرة والاستيطان

هذه ما يتم النظر إلى تعداد أعضاء الجماعات اليهودية حسب توزيعهم الجغرافي «هي جميع أنحاء العالم» لكن إذا نظرنا إلى توزيعهم من منظور تاريخي حضري فستظهر صورة مختلفة تمامًا ولننظر الآن إلى أكبر تسع جماعات يهودية في العالم (حسب إحصاءات أوائل التسعينيات، ورغم أن الأعداد قد تغيرت بعد ذلك إلا أنها لم تتغير بشكل جوهري، كما أن النمط العام لم يتغير)

الدولة	عدد أعضاء الجماعة اليهودية	نسبتهم إلى يهود العالم
الولايات المتحدة	5,515,000	1/43.1
إسرائيل	3,717,000	1/29.0
الاتحاد السوفيتي (سابقا)	1,370,000	1/10.7
فرنسا	530,000	1/4.1
بريطانيا لعظمى	320,000	1/6.5
كندا	310,000	1/6.4
أرجنتين	218,000	71.7
جنوب أفريقيا	114,000	1/9
النرويج	90,000	1/10.8

ملاحظ في هذا الجدول أن ٩٥.١٪ من يهود العالم يعيشون في تسعة مراكز رئيسية، بما في ذلك سولة الصهيونية، وأن ٨٢.٤٪ منهم يعيشون في ثلاث دول فقط. ونلاحظ أيضًا أن البلاد التي تضم جماعات يهودية تنتمي إلى ما يمكن تسميته التشكيل العرقي لأبيض هي لارجنتين، حيث أعلى نسبة من البيض في أمريكا اللاتينية، توجد أيضًا أعلى نسبة من اليهود، ما في البرازيل فتكاد تكون الاستثناء الوحيد من القاعدة، ومع هذا فإننا نجد أن نسبة السكان من أصل أبيض هدية في المدن حيث يتركز اليهود ولا يوجد اليهود في الاتحاد السوفيتي السابق إلا بعبء ضئيلة في الجمهوريات الآسيوية؛ إذ إنهم يتركزون أساسًا في روسيا وأوكرانيا

ويمكن تقسيم البلاد التي تعيش الأغلبية الساحقة من أعضاء الجماعات اليهودية في كتفها إلى قسمين أساسيين لا ثالث لهما ٢٢٪ في أوروبا والاتحاد السوفيتي سابقًا، في داخل التشكيل الحضاري الغربي، و ٧٧٪ داخل التشكيل الاستيطاني لغربي (٤٣ ١٪ في الولايات المتحدة، و ٥.٨٪ في دول استيطانية أخرى مثل كندا والأرجنتين وجنوب إفريقيا والبرازيل، و ٢٩٪ في إسرائيل)

الجماعة الوظيفية

لتفسير هذه الظاهرة (أي وجود غالبية أعضاء الجماعات اليهودية داخل تشكيلين الحضاري والاستيطاني الغربي) يمكننا استخدام مفهوم

الجماعة الوظيفية (أو جماعة المتعاضدين الهادفين)، وهم جماعة من البشر تستجيبهم المجتمعات التقليدية من خارج المجتمع (وأحياناً تجندهم من داخله) لتوكل إليهم وظائف لا يمكن لأعضاء المجتمع ذاته القيام بها، إما لأنها وظائف مشيئة (جمع الذنابات) وإما لأنها مقصورة وتتطلب خبرة معينة غير متوفرة عند أعضاء المجتمع أنفسهم (الطب - الترجمة)، وإما لأنها تتطلب معرفة بأدوات خاصة، أو امتلاك رأس مال، أو المقدرة على ارتياد مناطق نشاط جديدة (صناعات جديدة - تجارة).

ويتسم أعضاء الجماعة الوظيفية بأنهم مجرد أداة في يد الحاكم، وعلاقتهم به ليست علاقة حب أو كره وإنما علاقة تعاقد، وهو يقوم بعملهم حتى يظلوا منبوذين من المجتمع ومهذبين من جماهيره ليمتقوا أداة طيعة في يده وأعضاء الجماعة الوظيفية لا يدينون بالولاء لأحد (فهم يخافون أعينهم ويدخلون في علاقة تعاقدية مع أصدقائهم أو أولياء نعمتهم)، لكنهم يحتفظون بعلاقة ولاء قوية لجماهيرهم الوظيفية أو لوطنهم الأصلي، ويسمون بالحركة الفاتكة بسبب عدم لولائهم بأحد ومن أهم الجماعات الوظيفية الجماعات الوظيفية لآلهة (المربوبين والتجار)، والجماعات الوظيفية لثقاتهم (المالكة والساموراي)، والجماعات الوظيفية الاستيطانية (الصينيين في ماليزيا والهنود في جنوب إفريقيا). ويمكن للجماعة الوظيفية واحدة أن تضطلع بوظيفتين أو ثلاث وظائف في وقت واحد مالمه واستيطانية وقاتلية (ليهود في الدول الهيلينية في

مصر، حيث كانوا يوطنون كجماعة استيطانية تقوم بحماية الأسول
وحماية الثغور لمصلحة السلطة الهيكلية الحاكمة)

ولا يمكن أن نفهم حركة الجماعات اليهودية في العصر الحديث،
وسر تركزهم في بلق معينة دون غيرها، وفي تشكيل خصارى دون غيرها،
لا من خلال مفهوم الجماعة الوظيفية هذا إذ يبدو أنه مدد بداية
التاريخ، اطلع عدد كبير من أعضاء الجماعات اليهودية (وخصوصاً في
العالم العربي) بدور الجماعة الوظيفية، فكانوا جماعة استيطانية ثنائية
أواستيطانية مالية ومن هنا يعود إلى ضعف الدولة الميرانية وتخلها
التكنولوجيا وإن ضعف مولد فلسطين بصورة عامة، وضرر حجمها،
الأمر الذي جعلها قاصرة عن استيعاب المصائر البشرية ولذا، كان لابد
من تصديرها والتخلص منها لزيادة موارد الدولة (باعتبار أن المادة البشرية
سلعة تُصدّر) وللقضاء على مصادر نقل الاجتماعى وقد كانت أول
دياسيورا صيرانية هي الحماية الميرانية في جزيرة لقنتاين قرب أسول
(في أوائل القرن السادس ق. م)، حين قام ملوك الأسرة السادسة
وعشرين بمرعونة بتوطين بعض الجنود الميرانيين في هذه الجزيرة
لحماية حدود مصر الجنوبية وكان الهدف من التهجير الأثوري
النيابلى، في وجه من وجوه، الاستعادة من الجماعات انوائية له في
أرجاء الإمبراطورية، وكان من بينها بضر الجماعات الميرانية وقد
حولت حماية لقنتاين ولاحا إلى السطة القصرية بعد غزوها مصر وقد

تتفق هذا النمط تمامًا مع لدول الهيلينية (سلوقيه فى سوريا والبطليمية فى مصر)، ثم وصل إلى ذروته فى القرن السادس عشر فى بولندا/أوكرانيا، حيث كان أعضاء جماعة اليهودية يشكلون جماعة استيطانية وسجارية وقاتلية فى إطار لإقطاع الاستيطاني البولندي فى أوكرانيا، فكان الوكلاء اليهود يستأجرون عوائد ضيق النبلاء البولنديين (شلاختا) فى أوكرانيا ويديرونها بحساب هؤلاء النبلاء. وقد شيد النبلاء لهم ولأسرهم مدنًا صغيرة تسمى «الشتل». يعيشون فيها تحت حماية القوة العسكرية البولندية ليتفرغوا بعملية استغلال الأتقان لأوكرانيين وعتصار فائض القيمة منهم وكان على رجب الجماعة اليهودية الاستيطانية أن يتدربوا على حمل السلاح، بن كانوا أيضًا يتعبدون فى معابد تأخذ شكل القلاع المسلحة وفى صراع الدولة البولندية الفارسية مع الملاحين الأوكرانيين، كان اليهود هم علامة الهيمنة البولندية ولذا، كان أحد مطالب الرئيسة للحركة الشعبية الأوكرانية عدم السماح لليهود بالاستيطان فى أوكرانيا (تمامًا مثلما كانت حركة المقاومة الفلسطينية تطلب وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين)، بينما كانت لدولة البولندية الفارسية تصر على ضرورة الاعتراف بحق اليهود فى الاستيطان (مثل إصرار العالم العربى على فتح أبواب فلسطين المحتلة للهجرة يهودية) ويجب أن نتذكر أن يهود بولندا/أوكرانيا كانوا يشكلون أكبر جماعة يهودية فى العالم فى القرن السابع عشر، وأهم أخذوا يردانون عددًا، إلى أن أصبح معظم يهود العالم من سلهم. وهذا يعنى أن الاستيطان جزء مهم للغاية من التجربة

التدرجية للجماعات اليهودية في الغرب، وأبهم دخولوا العصر الحديث
وعندهم قابلية عالية للاشتراك في اساليب الاستيطانية

الهجرة الاستيطانية

في هذا الإطار، يمكننا أن نقم نمط هجرة أعضاء الجماعات
اليهودية، فهي حركة تنقل تتم دائماً داخل إطار حركة الإمبراطوريات
الكبرى التي تيسر لهم هذا التنقل، وتتيح لهم فرص الحراك، وموظفهم
كجماعة وطنية استيطانية أو مدنية وإد. كلل التهجير الهلالي قد تم
قسراً، فإن حركة الهجرة العبرانية (اليهودية)، نرى تعاضدت بالتدريج
حتى وصلت إلى ذروتها مع بداية الألف الأولى قبل الميلاد (حين أصبح
عدد اليهود خارج فلسطين أكثر من ضعف عددهم داخلها)، كانت هجرة
تلقائية بحثاً عن الفرص الاقتصادية، وتمت هي إطار الإمبراطوريات
الهللمية والرومانية وهجرة يهود شرق وريا التي توجهت بأعداد هائلة
إلى الولايات المتحدة وكندا، وغيرها من الدول الاستيطانية، حتى انتقلت
الكتلة البشرية اليهودية من أوروبا (روسيا/ بولندا) إلى الولايات المتحدة
واسرائيل (فلسطين) هي الأخرى هجرة تمت داخل إطار إمبراطوري، إذ
إنها تمت داخل التشكيل الاستعماري العربي وبجرمه الاستيطانية هي
أبناء العنم.

وقد شترك أعضاء الجماعات اليهودية في كثير من الأنشطة المرتبطة
بالاستيطان العربي، مثل أنشطة شركتي الهند الشرقية والعربية

الهولندية، وغيرهما من الشركات، وتجارة العبيد كما اشتركت اعداد من أعضاء الجماعات اليهودية في عملية الاستيطان ذاتها وهي بذاته الأمر كن أعضاء لجماعة جرأ من النشاط الاستيطاني «هولندي»، فاستوطنوا ابتداءً من منتصف القرن السابع عشر جرر الهند الغربية (مثل سورينام وسورينام والمارتنيك وجميكا وجرر ايباهاما) كن سورينام كنسب لهم التجارب الاستيطانية الأولى وقد بدأ وصول اليهود إليها من هولند سنة ١٦٣٩، ثم من إنجلترا سنة ١٦٥٢، فكملت لهم جميع الحريات والمزايا وُمنح ايهود الجنسية الإنجليزية وبعد أن صم لهولنديون سورينام مرة أخرى سنة ١٦٦٧، حاول بعض اليهود الرحيل مع الرعايا الهولنديين، لكن هولنديين أرغموهم على البقاء ههما بوصفهم جماعة استيطانية مفعمة وقد تركر اليهود فيما يسمى يودين ساهانا، أي ساهانا لليهود، وأنشوا مستوطنة يهودية في مرزديتقنس أيلاند سنة ١٦٧٠ وكانت مستوطنة تلك تتمتع بما يشبه الاستقلال الكامل (ومن ثم فهي أول دولة يهودية استيطانية) وكان اقتصاد المستعمرة يعتمد على العبيد الذين كانوا يشقون الطرق ويؤسسون اغابات والاعشاب، فأقامو مدينة جديدة محاطة بالطين. وقد بلغ عدد سكان المستوطنة ١٠ آلاف سنة ١٧١٩، وكانت أغليبتهم من العبيد وكن العبيد المستجلبون من افريقيا يسهريون ويلجأون إلى الأحراج ويختلطون بسكان الجزيرة الأصليين، فيصطر سكان المستوطنة بى ستجلاب المزيد من العبيد من إفريقيا الذين كانوا يهريون بنورهم ويضمون إلى السكان الأصليين. ثم

بدأت جماعات بعيد لأفارقة والسكان الأصليين تشن هجمات على المستوطنة في فترة ١٦٩٢ - ١٧٧٤ وكوّن المستوطنون البيس ميليشيات عسكرية وشددوا الحملات ضد الثوار (تعامًا كما تعمل الدولة الصهيونية ضد لفلسطينيين)، نكن الإرهاب الناتج من الحرب وانتشار لأمرأض أديا إلى انتصار السود والسكان الأصليين على الدولة يهودية الاستيطانية وقد استوطن اليهود أيضًا في معظم بلاد أمريكا اللاتينية، وخصوصًا في الأرجنتين التي وطن المليونير ميرش فيها آلاف اليهود، والتي كانت تعد أهم بحرية استيطانية زراعية، باستثناء بحرية الدولة الصهيونية في العصر الحديث

ويلاحظ أن هذه الأنشطة الاستيطانية كانت تدور إما في إطار الاستعمار الهولندي أو في إطار الاستعمار الإسباني - البرتغالي، والمادة البشرية الأساسية هن هي يهود السفار (اساروق) لكن مصدر المادة الاستيطانية الحقيقية كلل يهود البديشية (لأشكتان) من شرق أوروبا، الذي كانوا يشكلون لأغلبية الساحقة من يهود العالم مع نهاية القرن التاسع عشر. وكان النشاط الاستيطاني الأكبر ليهود ليديشية داخل تشكيل الاستيطاني الأنجلو ساكسوني، فانتجه ملايين اليهود إلى جنوب إفريقيا وكندا وتيوريلندا وأستراليا وهولج كوبج، لكن أغليبتهم (١,٨٥) اتجهت إلى الولايات المتحدة أهم التجارب الاستيطانية - ثم إلى إسرائيل التي تلى بولايات المتحدة في الأهمية

الاستيطان وواقع اليهود المعاصر

إن الإطار التفسيري السابق يجعلنا نرى مدى ارتباط لجماعات اليهودية في العالم (العالم الغربي مدان) بالتشكيل الاستعماري الاستيطاني الغربي، ونضع يدنا على حقائق الأساسية التالية في واقع أعضاء الجماعات اليهودية في العالم

١ - الديسبورا اليهودية (أي انتشار أعضاء لجماعات اليهودية في أرجاء العالم) ليس انتشاراً عشوائياً وإنما هو انتشار يصاحب انتشار «تشكيل الاستعماري الغربي، وخصوصاً في جانبه الاستيطاني» هجرة أعضاء الجماعات اليهودية لا تحددها حركات ما يسمى «التاريخ اليهودي» أو ما يسمى «الظيمة اليهودية»، وإنما تحددها حركات الاستعمار الغربي، ولا سيما الاستعمار الأنجلو ساكسوني

٢ - لا تشكل إسرائيل استثناء لهذه القاعدة، فهي جزء من منظومة حركية غربية هي الإمبريالية الغربية التي جعلت منام مسرحاً لنشاطها، سواء في ستراليا أو أدريك للآتييه أو جنوب إفريقيا أو فلسطين فالمشروع الصهيوني هو جزء لا يتجزأ من التشكيل الاستعماري الاستيطاني في الغرب، وما كان يمكن أن يتحقق من دون إمكانيات الإمبريالية الغربية ومن دون طموحاتها وأرائياتها

والسيطران يهود في فلسطين هو نقل للفنص بشري غربي إلى بقعة في آسيا وإفريقيا، حيث يتم تحويل هذا الفنص وهذه الجماعة الوظيفية التي قدمت وظيفتها إلى دولة وظيفية سميطة تقوم على خدمة مصالح

لعرب لقاء أن يعوم هو على حمايتها قيسريين من هذا المنظور هي عادة إنتاج النمط قديم. ووعده بالعور ثم دعم حكومه الامتدك لمستوطن الصهيوني، لم دعم الولايات المتحدة لإسرائيل، وتوقيع الاتفاق الإستراتيجي معها كل هذا يبين ان الدولة الصهيونية متداه لا تربط أعضاء الجماعات اليهودية بالاستعمار الاستيطاني الأنجلو ساكسوني

٣ - بل يمكن القول ان يهود الشرق واعانم الإسلامى قد تم تحويلهم إلى مادة استيطانية تابعة للتشكيل الاستيطاني الغربي من خلال مدارس الأليانس والدعاية الصهيونية. وهجرة أعداد ضخمة من اليهود الأشكناز إلى العالم العربي إذ إن هذه عمليات كلها التقدهم مختلف هوياتهم المحلية وأحب محلها هوية يهودية عالمية (سما، لكنهم استيطانية فعلاً، جوهرها فك الصلة بين انيهودي ووطه ومن ثم استيعابه في المنظومة الاستيطانية وفعلاً حينما أعلن إنشاء إسرائيل، هاجرت الأغلبية الساحقة من يهود البلاد العربية إلى إسرائيل.

ويمكن القول بشيء من التبسيط غير المخل، هجرة أعضاء لجماعات اليهودية تدور في نوبت بحالي حول مركزين أساسيين هما شرق أوروبا (روسيا/ بولند) كهو طارده ومصدر لمعاداة البشرية، وولايات المتحدة كهو جديدة اساسية، وباعتبارها التجربة الاستيطانية الكبرى وهناك في جانب هذا وذاك مراكز طرد وجذب ثانوية فأما مصادر الطرد الثانوية فهي باقي بلاد شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية وجنوب إفريقيا ويقاب يهود

الشرق والعالم الإسلامي وأما مناطق الجذب الثانوية فهناك كندا،
وأستراليا وسويسرا وبلدان أوروبا، وغيرها

وتمثل إسرائيل الآن نقطة مبهمة، فهي مصدر طرد، حيث يبلغ عدد
البارحين منها بين ٧٠٠ ألف ومليون، كما أنها مصدر جذب لليهود البلاد
العربية والشرق، حيث إنها تحقق حراكاً اجتماعياً لهم. وهي تمثل أيضاً
محطة انتقال لهؤلاء اليهود الذين لا يمكنهم الوصول مباشرة إلى الولايات
المتحدة أو لأولئك الذين لا توجد عندهم الكفالات المطلوبة للعمل فيها

وإذا استبعدنا سكان المستوطن الصهيوني، نجد أن أعضاء الجماعات
اليهودية يتركزون حالياً وعلى نحو أساسي، في الولايات المتحدة وبضعة
بلاد أخرى تالقة بالإنجليزية (كندا وإنجلترا وأستراليا وسويسرا،
وجنوب إفريقيا). وبدأ، يمكننا القول إن اللغة التي يتحدث أعضاء
الجماعات اليهودية بها هي الإنجليزية، لا العبرية أو اليديشية. ويلاحظ
أن الجماعات اليهودية في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي السابق
وأوروبا أخذة في الذوبان، وأن عدد أعضائها في أمريكا اللاتينية آخذ في
التناقص السريع ومن خلال الحركات التي تؤدي إلى «صوب الشعب
اليهودي»

التحاسبور: القائمة ١

يدّعي لصهيونية أن اليهود شعب قد طرد من وطنه وشئت في أرجاء
الأرض بعد أن هدم تيمتوس الهيكل وبما عمل نجد أن عدد يهود العالم
خارج فلسطين بعد هدم الهيكل أقل بكثير من عددهم خارجها، فنؤمن

يشددت اليهود وأنهم كفوا مسراً من ديارهم، وأنهم يسيرون العودة وأنهم
هائمون على وجوههم في كل بقاع الأرض بسبب غياب الوطن القومي
ولكن مرة أخرى، لو دققنا النظر وتدوينا الأرقام بطريقه مختلفة فمن
النسورة تختلف تماماً فمن المعروف أن عدد اليهود قد وصل إلى ما بين
خمسمة وثلاثية ملايين يهودي في القرن الأول قبل الميلاد ويجمع
المؤرخون كافة على أن عدد اليهود في فلسطين كان لا يتكسر سوى ثلث
عدد يهود بابل، وذلك قبل أن يهدم تيتوس الهيكل، أي أن العكس
يقايله بأن يهود مرتبطون ارتباطاً أوثقاً بصهيون (فلسطين) وأنهم
لا يتركونها إلا قسراً هي فكرة تتنافى مع واقع تاريخ فالداسبور،
أو لشقات اليهودي، مسألة طوعية، وليست مربطة بعملية إجراه
خارجية وحانه الداسبور حالة دائمة بغض النظر عما كان يحدث في
فلسطين من إنه حينما يتجه بعض أعضاء الجماعات اليهودية إلى
فلسطين للاستقرار فيها، فإن ذلك ينبع من حركات لا علاقة لها
بصهيون وعلى كل حال هي الدولة الصهيونية قد فتحت أبوابها بانهية
يهود بابل إلى المنجى إليها، فهي تعاني أزمة سكانية، غير أن يهود
العالم لا يأتون إلا قسراً ومن خلال الرشوة السفينة (كما حدث مع
اليهود سوفيت)، إذ أن الاقضية لماسحه بفضل لبقاء في، و متوجه
إلى، الولايات المتحدة (نابل الحديث)، التي يشار إليها باليهودية بأنها
«جودس مدينا»، أي لبلد النهمي - أرض اليعاد الاستهلاكية التي تفوق
في جاذبيتها أرض اليعاد الصهيونية

الانعرالية اليهودية

وينتهي الصهيونية أن اليهود يعيشون في حالة هربة دائمة ثم يمشرون إلى بعض الحقائق الصلبة للتدليل على ذلك ولكن قراءة لواقع والأرقام بطريقة مختلفة يبين كذب ما يقولون. قههود بسجل، على سبيل المثال، اندماجو، في محيطهم لحضارى وانصهر يهود آشور في محيطهم ويمكن أن تشير إلى تأغرق يهود الإسكندرية وسيبهم لقبهم هي الدولة ليظلمية، وبذا كان لايد من ترجمة العهد القديم إلى اليونانية وإيا كان عدد ليهود قد وصل بلعش في القرن الأول الميلادى إلى ٥ ميين و ٨ مليون، كان من المفروض أن يصل عددهم إلى خمسين أو ربما مائه مليون في القرن السادس الميلادى مع بدايات العصور الوسطى في شرب والعصر الإسلامى في لشرق لكن يلاحظ أن عدد اعضاء الجماعات اليهودية في ذلك التاريخ كان يتراوح بين مليون واحد ومليونين (تركز عليهم في العالم الإسلامى) وقد ظل عددهم دون تليير ملحوظ حتى القرن الخامس عشر ميلادى ولما أن ملاحظ انخفاض عدد يهود إلى الخمس، على الرغم من عدم حدوث هجمات أو عمليات ياده قبحه ضدهم أو انتشار أويشة ولد، لا يمكن تفسير هذا الانخفاض إلا بأن عصيه لاندماج والانصهار والدوبان كانت مستمرة على قدم وساق، أى أن فكرة الانعرالية اليهودية ومقدرة اليهود على مقاومة الانعاج هي مجرد اسطورة تشاهي مع الحقائق لتاريخية، فأعضاء الجماعات يهودية شابهم شأن جميع الأقليات والجماعات لأخرى خاضعون لحركات إنسانية عامة يودى بعضها إلى عزل والحرلة، ويؤدى بعضها الآخر إلى الاندماج والانصهار

مفترقان سكانيتان

من الأساطير الأخرى التي يروج لها الصهيونية أن ثمة شروع أول مدى «اليهود» نحو العودة إلى فلسطين، ولإثبات اليهودي - حسب هذا التصور - يحس بالغترباب إن اهتمد عن وطن سلافه ومثل هذا الادعاء يخفى عنا الأسباب السياسية والاجتماعية الحقيقية بشي أدت إلى انتشار المعكر الصهيوني والعداء لليهود في نفس الوقت والربط بين الاتجاين قد يبدو أن هيه كثرها من نفاقص، ولكننا لو أمعف النظر لأكتشفنا أن الصهيونية ليست حركة دفاع عن ليهودية - وإنما هي محاولة لتخليص أوروبا من اليهود. وثلمهم هذا حق الفهم يجب أن منظر لليمد الديموجرافي لظهور الصهيونية.

١ - الظفرة السكانية الأولى

نقول التقديرات التخمينية إن تعداد المبرانيين في عام ١٠٠٠ ق. م بلغ نحو ١,٨٠,٠٠٠ ولكن هناك من يذهب إلى أن هذا العدد مبالغ فيه فلسطين بلد صغير، مواردها فقيرة، ومستوى تطور سكانها التكنولوجي آنذاك كان منخفصا، فكيف كان من الممكن أن تعد مثل هذا العدد بأسباب لحياة (مع يعلم بأن عدد سكان مصر آنذاك بكل إمكاناتها كان ستة ملايين)؟ لعل فقر فلسطين آنذاك ووقوعها بين إمبراطوريات العظمى في الشرق الأسمى القديم جعلها نقطة عبور لكثير من جيوشها ونقطه ارتكار لها وقد أدى هذا إلى هجرة أعداد كبيرة من المبرانيين، ليعملوا كجنود مرتزقة في البلاد المجاورة، أو كتجار في حوض البحر المتوسط، أي أن هذا هو بداية ما يسميه الصهيونية «الشتات» أو «الدياسورا».

مهما كان الأمر، تناقص أعداد العبريين حتى بلغ نحو مليون ومائة ألف سنة حوالي عام ٧٢٠ ق. م. ثم انخفض هذا العدد مع التهجير الآشوري والبابلي (٧٢١ ق. م على التوالي) فلم يتجاوز عدد العبريين ١٥٠ ألف وهذا الرقم الأخير يفتي بظلال كثيفة من الشك على الأرقام «اليونانية السابقة» لأر الآشوريين والبابليين كانوا يقومون بمهجير أخصب الشعب الحاكمة للاقوام التي يهزمونها وحسب، مما يعني أنهم كانوا يتركون أغليبيتهم في موطنهم. وقد انصهر معظم المهجرين العبريين في البلاد التي هجروا إليها (ومن هنا الحديث عن «الأسباط العشرة مفقودة» والتي يجب أن تصبح هي واقع الأمر «الأسباط العشرة المنصهرة») كم رداد اندماج من تبقى من عبرانيين في فلسطين والشعوب المحيطة بها

ولكن مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد حدثت طفرة سكانية إذ بلغ عدد اليهود آنذاك حسب بعض التقديرات التخمينية كما أسلفنا ما بين خمسة وثمانية ملايين، بينما تذهب بعض التقديرات التخمينية الأخرى إلى أن عددهم لم يتجاوز خمسة ملايين وتعود هذه الظاهرة بعدة أسباب من بينها قيام الدولة الحشمونية (اليهودية) بتهويد بعض القبائل والشعوب المجاورة التي وقعت تحت سيطرتها، كما أن القريسيين قاموا بحركة تبشيرية في حوض البحر الأبيض المتوسط، فقد طوّروا مذهباً لليهودية جعل منها ديانة عامة مفتوحة (على عكس اليهودية الحاخامية أو التلمودية التي جاءت بعدها) كما أن ما يسمى الامن الروماني «هاكس روماننا» الذي ساد المناطق التي كان يعيش فيها أعضاء الجماعات

يهودية قد وفّر لهم الأمن والطعانية، الأمر الذي ساعدهم على التكاثُر واشتغال اليهود بالتجارة كان يعمى بتعادهم عن لهام القتالية مما يعنى به لم يسقط من بينهم قتلى ويُعال إله مع سقوط قرطاجة، وضعت ادباسبورا بعثيقه والقرطاجيه إلى أعضاء الجماعات لعيرامية اليهوديه باعتبارهم جميعاً ساميين ينتمون إلى نفس التشكيل الحضارى ويمسكون بنفس المهنة (لتجارة) وعلمهم فعلوا ذلك حتى يستعيدو من شبكة التجارة يهودية

٢ الطفرة السكانية الثانية

وقد بدأت انطفرة اسكانية ثانية ولأخيرة بين يهود بعد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ حتى بلغ عددهم عشية الحرب لعينه لثانيه ١٦٧٢٤٠ كما هو مبين في الجدول التالي

السنة	عدد الإجمالي
١٨١٠	٢.٥٠٠, ٠٠
١٨٤٠	٤,٥ ٠,٠٠٠
١٨٦٠	٦,٥٠ ٠٠٠
١٩٠٠	١٠,٥ ٠ ٠٠
١٩٣٠	١٥,٩٠٠ ٠٠٠
١٩٣٩	١٦,٥٠٠ ٠٠٠

وتعود هذه الطفرة إلى عدة أسباب من بينها تحسُّن الأحوال الصحية في العالم العربي نتيجة نقرة الصناعات، خاصةً بين اليهود نظراً لأن

مستواهم المعيشي كان أعلى من مستوى عابية السكان ضعيف إلى حد أن مستوى اشتغالي العام بين أعضاء الجماعات اليهودية كان أعلى من مستوى المتأخرين السلاف وقد انعكس هذا بطبيعته الحب على نوعية طعام الذي يستهلكونه وادى إلى اختفاء أو تناقص الأمراض المرتبطة بالفقر وسوء التغذية كما أن الرقابة على الطعام بين الجماعات كانت قوية نظراً لتطبيق قوانين الطعام. وكانت لأسرة اليهودية تمتع بدرجة عالية من تقاسم الأمر الذي يُشجّع على الإيجاب، ويضمن الرعاية الصحية للأطفال مما يخفف نسبة الوفيات بينهم

ويقال إن رواج اليهود في سن ميكرة كان من أهم عوامل التي ساهمت في تزايد عددهم واختير لم تشهد الأماكن التي تركزت فيها الجماعات اليهودية في الفترة بين عامي ١٨٠٠ - ١٩٨٤ أي حروب، كما أن كثير من الدول كانت لا تجند أعضاء الجماعات اليهودية وحسب جدول سابق نجد أن عددهم زاد ستة أضعاف في قصور قرون ونصف وكان معظمهم يتركزون في شرق أوروبا، خاصة بولندا/ روسيا وقد تزامنت هذه الظفرة السكانية مع تعثر لتحديث في روسيا القيصرية، مما جعل لاقتصاد الروسي غير قادر على استيعاب الأعداد المتزايدة من أعضاء الجماعات اليهودية، مما أدى إلى ظهور جو معاد لليهود د حل روسيا وملأهم لظهور الصهيونية، التي تطالب بتحيص أوروبا من اليهود وبدأت جحافل اليهود تهاجر إلى بلاد أوروبا الوسطى والغربية

وقد أدى تزايد عدد اليهود إلى تقديم المسألة اليهودية في البلاد التي كانوا يهاجرون إليها (باعتناء البلاد الاستيطانية مثل الولايات المتحدة

وكندا وأمريكا ثلاثية مظهرٌ لحاجتها مانه ستيطانية) ولعل حالة النمسا وإنجلترا (باعتبارهما مهد الفكرة الصهيونية ووعدها بممر على التوالي) يصلحان كعناوين على ما نقول. في عام ١٨٤٦ كان عدد يهود فيينا (التي كان يقطن فيها مرتزل مؤسس الصهيونية) ٢,٧٣٩ يهودياً فقط لا غير، وصل عددهم إلى ١٥ ألف عام ١٨٥٤، وبلغ ٢٠١,٥١٣ عام ١٩٢٣. ولأنك في أن وجود مثل هذه الكتلة اليهودية الغريبة وبهذا الشكل المفاجئ جعل الكثير من أعضاء الأغلبية يتصورون أن صديقاً أو كياناً أن هذه الكتلة هي مصدر البطالة وكثير من الأمراض الاجتماعية وأنها تهدد الأمن الاجتماعي، مما ولد موقفاً معادياً لليهود ورغبة في التخلص منهم باعتبارهم عائقاً بشرياً غير منتج وغير منتج (وهذا هو ناتج الموقف الصهيوني) وفي هذا المناخ ظهر مرتزل، النحوي المساوي المدمج تماماً في مجتمعه، ومؤسس الفكر الصهيوني. وقد لبى كثير من اليهود لندمجين في بلاد وسط أوروبا وغربها هذا الفكر، باعتباره دفاعاً عن أنفسهم وعن مواضعهم الطبقية ومكانتهم الاجتماعية التي كان يهددها هؤلاء المهاجرون من يهود البندقية، واندس كانوا يحملون معهم عقليّة جيولوجية وشعور عميق بعدم الاطمئنان من أن تكون لديهم الطيريات اللازمة للاندماج في مجتمعاتهم الجديدة.

إنجلترا والمملكة الصهيونية

ويمكن الآن أن نتناول الوضع في إنجلترا. كان يوجد في إنجلترا عام ١٨٤٥ حوالي ٢٥ ألف يهودي فقط لا غير، وصل عددهم ٢٤٢ ألف

عام ١٩١٠، وكان عدد كبير من المهاجرين تجار وحرفيين صغراء، وأدى تواجدهم بهذه الأعداد الضخمة إلى إزدياد البطالة وإزدحام المدن وانتشار الجريمة، ولذا ظهرت ثورات شديدة لا يهتم وبين المجتمع الإنجليزي وحسب، وإنما يهتم كوفدين (من الأسكنار) وبين اليهود الأسلمين (وكان معظمهم من سفارد) وكان هذا التفرق الأخير يشمر بأن الواحدين يهددون ما حققوه من مكاسب اجتماعية وثقافية

ويلاحظ أن الاشتراكيين الإنجليز المعارضين للإمبريالية قد ذهبوا إلى أن مجموعة صغيرة من المولدين الدوليين «ألب» في أصلهم ويهود في عصرهم» حققوا ثروة قوياً في جوهانسبرج (في جنوب أفريقيا) وقد وصفهم بأنهم «الحثالة الحقيقية» لأوروبا، يسيطرون على حقول الذهب ويحتكرون صناعة النسيج وتجارة الكحول سرية كما يتحكمون مع سيل رودس في الصحافة ويتلاعبون بسوق برقيق، ويديرون الأعمال التجارية الأساسية في كل من جوهانسبرج وبيرتوريا كما يلاحظ أيضاً أن أعداداً كبيرة أيضاً من يهود إنجلترا، خصوصاً يهود يديشية، اضطروا في صفوف حركات اليسارية والعمالية والعممية وأدى إلى ارتباط أهمها الجماعات اليهودية بكل من أقصى اليمين والرجعية، وأقصى اليسار وثورية، في وقت واحد

في هذا الجو، شكلت لجنة خاصة لمناقشة هجرة يهود شرق أوروبا وقدمت حكومة بلجيكا، اندي كار يشمن منصب رئيس الوزراء آنذاك، مشروع قانون عام ١٩٠٢ يُسمى «قانون العريا» الذي وُفق عليه

عام ١٩٠٥ للحد من الهجرة وهي هذا الإطار، طُرحت الفكرة الصهيونية، فعارضها اليهود الإنجليز وأيدها يهود يديشية وزار هرتزل إنجلترا لأول مرة عام ١٨٩٥ وألقى خطبة في حي إيسن إند عن موضوع الهجرة، وكانت هذه أول مواجهة حقيقية بينه وبين يهود يديشية ثم عُقد المؤتمر الصهيوي الرابع (١٩٠٠) في لندن وحيث إن يهود إنجلترا الأصليون كانوا من كبار معارضي «المشروع الصهيوني»، توجه هرتزل أساساً إلى يهود اليديشية، كما وضع نصب عينيه الوصول إلى السلطات الحاكمة مباشرة لعرض «المشروع الصهيوني» كرقعة تلتقي فيها المصالح «العصرية» والاستعمارية بالرؤية الصهيونية وفي عام ١٩٠٢، نجح أحد أصدقاء هرتزل في دعوه للعثون أمام اللجنة الملكية، حيث قدّم حلاً صهيونياً مفاده تحويل الهجرة من إنجلترا إلى أية بقعة أخرى خارج أوروبا وبطلافاً من هذا، عُرض مشروع شرق أفريقيا، ثم صدر وعد بلفور، أهم حدث في تاريخ الصهيونية، الذي جاء مُنصّراً للعصبة الصهيونية على يهود إنجلترا، والفكر الصهيوي على يهود العالم

الفصل الخامس

علاقة الصهيونية بالمسيحية

موضوع علاقة الصهيونية بالمسيحية موضوع خلافى ومركب، متعدد الأبعاد، يحتاج إلى كثير من التأس وإعارة النظر فى مصطلحات وما تخفيه من معاهيم، فهو ليس بموضوع دينى محض، وإنما له بُعد سياسى ولذا نجد أن بعضاً ممن له مصلحة يقوم بلى عمق اصطلاحات ليعرض عليها مفاهيم معينه حتى يمكنه تطبيقها لصالحه وهذا ما فعله الصهاينة وأنصارهم ومع الأسف هناك فى العالم العربى من ينقل ما يرد لنا من مصطلحات، ثم يرددها ببغائية مذهبة، فون أن يحرك عمية التشويه التى تمت، و سى لا نخدم إلا صالح أعداء الوطن والأمة

وقد اخبرني مثل هذه المصطلحات بخطاب التحيلى العربى. حد على سبيل المثال مصطلحاً مثل «الحروب الصليبية»، هذه ترجمة للكلمة العربية (الإنجليزية) crusade نسبة إلى cross ، أى الصليب وهى تعنى أن الحملات الصليبية كانت حملات مسيحية، بيد يعرف أى دارس لهذه الواقعة التاريخية أنها كانت حملات استعمارية حتى النخاع والمسيحية بيئة مهم. وقد أدرك المؤرخون العرب والمسلمون لعاصرون لهذه الحملات طبيعتها الاستعمارية الاستيطانية، ولذلك كتبوا بسموب

«حروب الصليبية» نسبة إلى فدية العنصر البشرى الذى قدم بالعرز
والسب وانتهب (الذى أتى أساساً من بلاد المراتك، أى فرنسا) وهو
عرو وسلب ونهب لم يكن يُفرق بين مسلم وناصري واليهودى، وبدا
قامت بعض هذه الحملات التى يقال لها «صليبية» بسلب بيرتطه عاصمه
مسيحية الشرقية، بن يقال إلى هذه الحملات أنهكت قوى الإمبراطورية
الرومانية الشرقية، الأمر الذى جعل سقوطها فى يد العثمانيين فيما بعد
أمرٌ يسيراً وفي عصرنا الحديث، بدلاً من استخدام المصطلح العربى
(التقدم الدقيق، اسأل على طبيعة الظاهرة، فما بترجمة المصطلح الغربى،
اسئلى يحاول إخفاءها وتعتيقها

وإد، كان هذا هو الحال مع مصطلحات واضحة البراءة مثل «الحروب
الصليبية» و «مسألة اليهودية» فم بكم بمصطلحات مثل «القوات
اليهودى المسيحى» و «الصهيونية المسيحية» اللذين شاع استخدامهما فى
الأونة الأخيرة. وهما مصطلحان يعنىان أن ثمة علاقة قوية بل
هوية، بين اليهودية والمسيحية وبين المسيحية والصهيونية وقد بلغ
المصطلحان من الدبوع أن كثيراً من الناس يتقبلونهما وما يميزون عنهما من
مفاهيم، باعتبار أنهما من بيديهما. ولكن الرؤية المتحصنة لهذين
المصطلحين تبين أن هلاقتهم بواقف وأهية لأقصى حد، وهما
مصطلحان «أيديولوجيان» بمعنى أنهما هما مضمون فكرى متخبر
لأيديولوجيات يمينها (الإمبريالية والصهيونية)

التراث اليهودي المسيحي؟

وأنا ذهب إلى أنه يوجد عنصر أخلاقي مشترك بين الديانات الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام (بمصلح أساساً لعقد اجتماعي جديد) ولكن إلى جانب نقد الاتقن الأخلاقية توجد نقاط اختلاف، بمعنى جوهرى، فى رقعة صول الدين أو لاهوته ومصطلح «التراث اليهودي المسيحي» يجب هل مثل هذه الاختلافات، فهو يعترض أن اليهودية والمسيحية يكونان كلاً واحداً وهو ادعاء له ما يسانده بشكل جرسى داخل انفسى لليسى المسيحى ولكنه لا يعبر بأية حال عن بصورة الكنيسة إذ أنه يتجاهل حقائق دينية أساسية فهناك الاختلافات الأساسية الوضحة بخصوص طبيعة الإله وعلاقته بانبشور. كما يختلف موقف اليهودية ومسيحية من الخطيئة بشكل جوهرى، فالمسيحية تؤمن بأن الإنسان ساقط بسبب الخطيئة الأولى أما اليهودية، فلا تؤمن بالخطيئة الأولى ولذا فإن أداء لشعائر، واتباع الأمر ولوائحى، فى السياق اليهودى، كاهن بخلاص لإنسان أما فى المسيحية (الكاثوليكية على لأحد) لا بد من قيام الكنيسة والكهنة بعملية لوساطة حتى يتم الخلاص، فلا خلاص خارج الكنيسة

وثمة خلافات بين العقيدتين حول فكرة مسيح، فهناك يرى اليهودية المسيح باعتباره شخصية سياسية قومية مسموع شعبه بن صهيون ويعود بىء، اليهكن ويؤسس الملكة يهودية مرة اخرى، هب المسيح فى المسيحية له/إنسان مهفته خلاص كل انبشورة لا شعب اليهودى

وحسب (ولد، محمد في كتاباته عن الصهيونية واليهودية مشير إلى
انسيخ لخلص يهودى بكنمه «الاشوخ»، أى يستخدم «مطوق المعرى
حتى يفرق بين السقون الدينيين)

وتعد قضية صلب المسيح قضية سامية ومعطة خلاف رئيسيه فمن
المعروف أن كل امه أو مجموعته عرقية أو دينية تؤمن بأشياء مديسه
موجودها لشكل من أشكال التضحية والعداء الرمزي أو العملى «بدي
يكتسب مكانة رمزية ويصبح معذبة الركيزة النهائية للنسق ولحظة
التأسيس وحادثة الصلب فى المسيحية هى هذه اللحظة، حين سار ابن
الإنه إلى الأرض وارتقى لعنه أن يُصلب، وكان فعله هذا العداء الأكبر
ولحظة الصلب هذه ليست لحظة رمزية، رغم حدوثها فى «زمان»،
ولا ترتبط بفترة تاريخية معينة رغم وقوعها فى التاريخ، فهي كونيّة وفى
احتمالات الجمع الحريه يحاول المسيحي المؤمن أن يستعيد لأم
المسيح، هذه الوقعة الكونية التى لا يمكن أن تنافس وقعة أخرى.
وبيهود عنصر أساسى فى حادثه الصلب، فكهناتهم وحساباتهم هم
الذين حاكموا «مسيح وهم الذين اصروا على صلبه، فهم قنّة الرب، الذين
يقتلونه دائماً، يأنكاهم إياه.

ورغم المحاولات العديدة، المسيحية واليهودية، بتفهم هذه البنية
الرمزية لتوجدان انسيخ، فإن مثل هذه المحاولات لا تُكَلِّل بالنجاح
مطراً لأن المجال الرمزي يتسم بقدر من الثبات ولا يخضع بسهولة للأهواء

والتيارات السياسية المعيرة ولذا فكثيراً ما تشبّ الصراعات فجاء وبلا مقدمات حين يقوم بعض المسيحيين بتمثيل بعض المسرحيات الدينية التي تدور الرموز المسيحية وتسقط على اليهودي دور قاتل الرب وقد تشبّ صراع حول أوشفيتس كان في جوهره صراعاً حول الرموز ومعنى حدثه لإبادة (الهولوكوست)، أصبحت في الوجدان اليهودي لا تختلف كثيراً عن حادثته الصلب في الوجدان المسيحي ولذا حين أقامت بعض الرأيات الكرمليات ديراً في هذا المعنى لإقامة صلاة على الضحايا من أي عرق أو دين أو جنسية اعترض ممثلو أعضاء جماعات اليهودية، لأن هذا يعني فرض لحظة الصلب المسيحية، على لحظة الصلب اليهودية!

ولمعه رأى داخل لمسيحيه يقول بأن العهد الجديد لم ينسخ العهد القديم، ولكنه مع هذا حل محله وتجاوره ومع أن الكنيسة لم تستبعد العهد القديم فإن الإيمان المسيحي يستند إلى أن الشريعة (أو القانون) قد حُلقت من خلال المسيح ولم تجاورها، وأن برحمة الإلهية والإيمان بالمسيح وسببه للخلاص حلت محل الشريعة والأوامر والنواهي، ومن ثم كان رفض الشعائر الخاصة بالطعام والختان التي تُعَسَّلُ بها اليهود وقد ذهب لمسيحيون إلى أن اليهودية دين الظاهر والتفسير الخرافي دون إسرائيل المعنى الداخلي أو الباطن، وأن الكنيسة هي إسرائيل فموسى، أي إسرائيل الحقيقي، وأنها إسرائيل الروحية، أما اليهود فهم إسرائيل الزائفة الجسدية التي لا تتحرك مغرى رسالتها وبالتالي، فقد اليهود

نورهم، وأصبحت اليهودية ديانة متدنية بالنسبة إلى المسيحيين ووُصِف
اليهود بأنهم شعب يحمل كتباً ذكية ولكنه لا يفقه معنى ما يحمل
لكن هنا، أعادت الكنيسة تفسير العهد القديم بحيث اكتسب مدلولاً
جديداً مختلفاً تماماً عن مدلوله عند اليهود ندين ستمرو في شرحه
وتفسيره على طريقتهم، وفهمه فهماً حرفياً وخلوياً وقويماً ومن ثم
اختبئ البنى الديني اليهودي عن البنى الديني المسيحي ومن أهم
أشكال الاختلاف أن المسيحية أصبحت ديناً هالياً باب الهداية فيه
مفتوح للجميع، على عكس اليهودية التي ظلت ديناً حلوياً مغلقاً مقصور
على شعب أو عرق معين يظل وحده موضع الحلول الإلهي ثم تعمق
الاختلاف بحيث أصبح للمسيحيين رؤية مختلفة تماماً عن رؤية
اليهودية

وقد نبئ كل هذا في شكل صراع تاريخي حقيقي، فقد رفض اليهود
المسيح (عيسى بن مريم) ولا يرون برفضه ويلوم الآباء المسيحيين
الأوائل اليهود باعتبارهم مسئولين عما حاق بالمسيحيين الأولين من
اضطهاد، وأنهم هم الذين كانوا يهيجون الرومان ضد المسيحيين ويلصقون
المسيحيين في المعابد اليهودية، وأنهم هم المسئولون في نهاية الأمر عن
صلب المسيح وهم يرون أن هدم الهيكل وتشتيتهم هو العقاب الإلهي
الذي حاق بهم على ما اعترفوه من ذنوب (وتشكل معاداة اليهود،
باعينارهم قتلهم رب، خراً أسلياً وجوهرياً من سترات النفس الديني
المسيحي من موسيقى (رسم ومسرحيات).

وقد استمر الصراع إلى أن تغلبت المسيحية في نهاية الأمر على اليهودية، وانتشرت بين جماهير الإمبراطورية الرومانية واستمر من ثيقي من اليهود في الإيمان باليهودية ويمهرون عن رأيهم، في كتب مثل القلمود والتألاه، يمدحون من المسيح ولصحبه بدرة سببه وعنصرية للعابة

وقد تحدّد موقف كنيسة (الكاثوليكية) من اليهود في مفهوم الشعب الشاهد، وهو أن يهود هم الشعب الذي أنكر المسيح الذي أرسل بينهم، وهم لهذا قد تشتتوا عقاباً لهم على ما اقترفوه من ذنوب ولكن رفض اليهود للمسيح سر من الأسرار، فاليهود هي شعبهم وذاقتهم وتشرّبهم يثقون شاهداً على عظمة الكنيسة، أي أن اليهود بعدد هم تحولوا إلى أداء لبشر المسيحية

ومن ثم يمكننا أن نقول إن علاقة بين اليهودية والمسيحية علاقة عدائية متوترة إلى أقصى حد، واستخدام مصطلح «التراث اليهودي المسيحي» فيه محاولة لطمس معالم ونقط الاختلاف الجوهرية بين العقيدتين حتى يمكن رعاية الدسم الغربي للدولة اليهودية، والحصول على رضا الجماهير الغربية على هذا الدعم الذي يتشافى مع القيم المسيحية والأخلاقية الإنسانية

الصهيونية المسيحية

ولصطلح الثاني الذي نود تناوله هو مصطلح «صهيونية المسيحية»، الذي نتشر في الغرب لأوربيه وتسلل منها إلى ألبه امريية حد،

المصطلح يضيف على الصهيونية صبغة عالمية تربطها بالمسيحية ككنز، وهو
 من مخالف تماماً للواقع، إذ ليس هناك صهيونية مسيحية في الشرق
 بل إن أوائل المعادين للصهيونية بين حرب فلسطين كانوا من العرب
 المسيحيين، وأول مفكر عربي تنبأ بإبعاد الصراع العربي - الصهيوني
 ويمدى عمقه هو المفكر المسيحي (اليهودي الأصل فلسطيني الإقامة)
 نجيب هاروري كما أن الكنيستين لكاثوليكية ولأرثوذكسية تعارضان
 الصهيونية على أساس عقائدي ديمسي مسيحي وإن حدث تقارب ما
 (كما هو الحال مع الفانيكان)، فإن ذلك يتم مع نوبة إسرائيل
 ولاهتبارات عملية خارجة عن الإطار الديني المعادي إلى حد كبير
 وهناك في الغرب مسيحي البروتستانتى عشرات من المفكرين المسيحيين
 الذين يرفضون الصهيونية على أساس ديمسي مسيحي أيضاً ولذا، فإن
 مصطلح «الصهيونية المسيحية» غير علمي نظراً لعموميته ومطلقيته ومن
 هنا يجب الحديث عن «الصهيونية ذات استياحة المسيحية»، فهي
 صهيونية غير مسيحية بآية حال، بل صهيونية استمدت ديباجتها (عن
 طريق الحذف والانتقاء) من التراث المسيحي دون الاكتراث بهذا التراث بكل
 قيمه وأبعاده، ودون استبعاد منها لأن يُحكم عليها من منظوره الأخلاقي.
 وهي تصوّراً أن هذا هو الدرس بين ية عقيدة دينية واية عقيدة علمانية،
 فالؤمن بعقيدة دينية يؤمن بمجموعة من القيم لطلقاً انتجاوّه لإرادته
 (فهى ليست من يداعه ولا من يبدع غيره من البشر)، ومن ثم يمكن
 تقييمه وتقييم سلوكه من منظور هذه القيم أما العقيدة العلمانية، فهى

مجموعة من لقيم السببية المتغيرة، ولا يمكن أن يحاكم الإنسان العلماني من منظورها إذ بوسعها أن يرفضها ويقتصر لها ويعملها بما يتفق مع مواقفه المتغيرة واحتياجاته المتطورة وأهوائه المتجددة ورغباته التي لا تنتهي ولذلك فإن المسيحيين الذين يقومون بتعديل عقيدتهم لتتفق مع رؤيتهم ومصالحهم السياسية، يقومون بتطوير العقيدة الدينية لأهوائهم السياسية

وتستند الصهيونية المسيحية إلى العقيدة الألفية الاسترجاعية التي تعود جذورها إلى اليهودية وإلى كثير من العقائد انشعبيه، ولكنها مع هذا أصبحت فكرة مركزية في المسيحية البروتستانتية إذ يؤمن كثير من المسيحيين البروتستانت بأنه حينها يعود المسيح المخلص الذي يُشار إليه بأنه «ملك الألفى» سيحكم العالم (باعتباره الملك المقدس) هو والقديسون لمدة ألف عام يشار إليها أحياناً باسم «أيام المسيح» أو «الألف السعيدة»، وهي فترة سيمود فيها لسلام وعدل في عدم لتاريخ والطبيعة وفي مجتمع الإنسان والحيوان

وكما تبدأ الألف السعيدة، لابد أن يتم استرجاع اليهود إلى فلسطين تمهيداً لمجيء المسيح ومن هنا، فإن العقيدة لاسترجاعية هي مركز وعصب العقيدة لألفية ويرى لاسترجاعيون أن عودة يهود إلى فلسطين هي بشرى ألف العام السعيدة، وأن القديس الأرضي الألفى لن يتحقق إلا بهذه العودة كما يرون أن اليهود هم شعب الله المختار القديم أو الأول (باعتبار أن للمسيحيين هم شعب الله المختار الجديد أو الثاني) ولذا، فإن أرض فلسطين هي أرضهم التي وعدهم لاله بها، وعودة الرب لا تستط

حتى وإن خرج الشعب القديم عن الطريق ورفض المسيح (وصليبه). ولذا، فإن كل من يقف في وجه هذه العودة يُعتبر من أعداء الإله ويقف ضد الخلاص لمسيحي، فأعداء اليهود هم أعداء الإله

ونلاحظ هنا أن تفكر الحلول لمسيحي - شأنه شأن الفكر الحلولي اليهودي - يجعل اختيار الإله لليهود ليس موطناً بفعلهم الخير وبخاشيتهم الشر، فهي مسألة عضوية حتمية تتجاوز الخير والشر كما أنه جعل الخلاص مسأله مرتبطة باليهود، ومنح اليهود مركزية في رؤيتهم للخلاص

ومن الواضح أن العقيدة الاسترجاعية، شأنها شأن العقيدة الأنقية، تفترض استمراراً كاملاً ووحدة عضوية بين اليهود في الماضي والحاضر والمستقبل، ومن ثم فهي تنكر التاريخ تماماً ولكن هذا «التقديس» لليهود يُضمر كرفاً عميقاً لهم ورفضاً شاملاً لهم ولوجودهم، ذلك أن بنيه للعقيدة الاسترجاعية هي نفسها بنيه فكرة شعب العضوي المعبود، أي أن اليهود، شعب مختار، متعصب عضويًا، يرفض الاندماج في الشعوب الأخرى، ولذا لابد من تبده ونقله إلى مكان آخر! ويمكن أن تلخص هذا الكره وذلك الرفض في العناصر التالية.

١ - يذهب الاسترجاعيون إلى أن اليهود أنكروا المسيح وصليبه، وأن عمليه استرجاعهم لـ هي إلا جزء من عملية تصحيح لهذا «خلل التاريخي» وجزء من عملية تطهيرهم من آثامهم فاليهود ليسوا مركز الخلاص بل هم مركز الخلل وسببه والواقع أنهم إذا كانوا مركز الخلاص

هذه يعود إلى أنهم ينكرونهم مسيح أصبح مركز الخلق وسببه الأساسي
وجسيد بشر في تاريخ ولحلاص لا يمكن أن يتم إلا بتطهير مركز
الخطيئة (تنصير اليهود أو إبادةهم) ولعل هذا التركيز على أن اليهود
أصل الخطيئة يُفسّر لأن المسيح الدجال (بذي سيكون ظهوره هو أقصى
ترجات الشر) سيكون يهوياً (من سوريا)، وأنه هو لدى سيقود مسوك
لأرض ضد يسوع في المعركة الأخيرة (هرمجدون)

٢ - تنهب المعابد الألفية والاسترجاعية إلى أن عملية الخلاص
المهائي ستصاحبها معارك ومناجح تصف ثروتها في معركة واحدة أخيرة
(هرمجدون). وهي معارك سيروج صحنونها ثلثا يهود العالم وستحرب
أورشليم (القدس) بل إنه كلما رداد العنف ازدادت لحظة النهاية
اقترباً، فكانت تتعجبين بسماية لا يتم هنا من خلال فعل خلاقي يعوم به
المسيحيون وإنما من خلال تقديم قربان مادي جسدي للإله (هولوكوست)
يُشوى بأكمله بل إن أبعاد هذه الذبيحة ستكون أوسع من أن لمحرفة
السرية فكانت العقيدة الاسترجاعية هي عكس العقيدة المسيحية ففي
العقيدة المسيحية، يأتي المسيح ويمتدحه ويصلب ويهرم، فهو قربان
يُقدّمه الإله قداء للبشر بأسرهم، قربان لا حاجة بعده إلى قربانين.
أما العقيدة الاسترجاعية فتذهب إلى أن المسيح قائد عسكري يدخل
المعارك ويتخذ في أعداء ثم يتصر وأيهود هم لذين سيدقون، وهم
قربان للرب لدى لا حاجة بعده إلى قربانين، وبذلك فإن نذحهم (أو
صلبهم) يشير إلى النهاية الألفية السعيدة كما أن اليهود، حسب بروية

المسيحية التقليدية، كما هو دعاء القومية، على حين أن المسيح هو داعية العنصرية ما هنا فإن العكس هو الصحيح، فاليهود هم مركز خلاص العالم والمسيح هو القائد القومي الذي سيؤسس مملكته في صهيون

٣ انتهت حياة المسيح الأولى بإنكار اليهود له وصلبه، أما حياته الثانية فستنتهي بإعلان انتصاره وبالتدخل في آخر لحظة لإنقاذ البقية الباقية من اليهود (واعادتهم إلى أرضهم)، فيخبر اليهود أنهم ليسوا يعترفون بالوحيته ويقابلونه باعتباره المسيح المنتظر ويتحوسون إلى دعاء تبهيرهم بالمسيحية يمشون الإنجيل في عدم، أي لا يسبح سيديج في إضاح اليهود بما فشل في إقناعهم به أول مرة. وحينما يحدث ذلك، تكون قد اكتملت الدائرة وتمت نهاية العالم بأسره.

٤ العقيدة الاسترجاعية عقيدة تحوّل اليهود تمامًا، أي تحوّلهم إلى وسيلة أو أداة ناعمة وأساسية لخلاص المسيحيين ولكنها لا قيمة لها في حد ذاتها، فهم يستمدون قيمتهم من مقدار أدّ ثهم لوظيفتهم ومقدار معيشتهم بعملية الخلاص المسيحية

و بعدة الألعية الاسترجاعية ترفض التفسير المجازي للعهد القديم والجديد وأن ما أتى فيها هي نبوءات حرفية عن المستقبل. فيرى الألعيون، على سبيل المثال، أن العبارات التي ورعت عن حرب اورشليم (القدس) تشير إلى حروب عام ١٩٦٧ أو عام ١٩٤٨ أما الرؤية المسيحية التقليدية، فتذهب إلى أنها تحققت بالفعل عام ٧٠ ميلادية على يد تيموس

ويعوم هؤلاء الاسترجاعيون كما أسلفنا بحوسه إسرائيل بشكل حاد وعلى سبيل المثال، فإن تيري ريريهوفر (المسيحي الأصولي الأمريكي الذي يعوم بنموذج عملية إعادة بناء الهيكل) يرى أن السلام بين إسرائيل وجيرانها مسألة مستحيلة وبصفة عامة، فإن لروية الاسترجاعية مدى أن همجدون بقوة حتمية لا بد أن تتحقق بل ويرى الاسترجاعيون ضرورة تحريك الأمور باتجاه الحرب لإصرارهم بصراع ولنمجيته بالنهاية (ولذا، فإن موقفهم من مفاوضات السلام أكثر شدة من موقف أكثر صقور إسرائيل تشدداً) ولا يختلف الأمر كثيراً بشأن حدود أرض اليمين هذه الحدود مُعطى ثابت مقدس لا يمكن التفاوض بشأنه كما أن حدود إسرائيل التي يتحليها الاسترجاعيون أكثر انسياباً من حدود إسرائيل الكبرى التي يتحليها أكثر الصهاينة تطرفاً فحدودها، حسب الرؤية الاسترجاعية تضم الأردن وجزء من مصر وليبن ومعظم سوريا (وضمنها دمشق) أي أن الاسترجاعيين يرون ضرورة سلك سبيل اليهودي تحقيقاً لرؤيتهم لبومات الكتاب المقدس

لكل هذا، تجد أن يهود أمريكا لا يرحبون كثير بهذه الصهيونية التي تدعى لمسيحية (والتي يطالب بنقلهم إلى إسرائيل ووضعهم في حالة حرب دائمة) هذا على عكس الدولة الصهيونية التي تجد أن هؤلاء الصهاينة الذين يستخدمون الديهاجات المسيحية يكونون لوبي صهيوني قوي يعيش في صلب المجتمع الأمريكي إلى لقضية مركبة ومتداخلة إلى أقصى حد ومع هذا نجد في عالم العربي من يتحدث عن «الصهيونية

«المسيحية» وكأنها بانقل «مسيحية»، وليست حركة حرفية تُخضع النص لعنس لأهوائها وتستخدم ديدجانب مسيحية لتحديث النضمون السياسي الاستعماري العلماني

التفسيرات الحرفية

والنص المقدس - في تصويري - نص مجاري توليدي، لا يمكن فهمه إلا بدراك طبيعته المجردة فهو نص يشير إلى الدنيا والآخرة، عالم الشهادة وعالم لعيب، عالم الحواس وما وراء الحواس، فهو نص ثنائي وليس واحد - ما النص العلفاني فهو نص دقيق ترتبط اسدوال فيه بمدنولات حسية أو مادية، فهو نص يشير إلى الدنيا وعالم الحواس والمادة وحسب فالفرق بين النص المقدس والنص العلفاني هو مثل الفرق بين الشعر (الذي يتعامل مع ظاهره الإنسان) والعبادة الجبرية (التي تتعامل مع عائم الأرقام الذي لا يعرف الضحك أو لبكاء) فالعبادة الجبرية قد تقسم بالدقة، ولكنها الدقة نقي فتستبعد لإتقان. ويجتري بنا أن نُفرق بين الحرفية والأصولية (وهذان مصطلحان اخران يتم الخلط بينهما) فالأصولية هي رفض لكثير من المعارف الدينية وبعض تفسيرات كتاب المقدس التي تراكمت عبر لعصور ودعوة للعودة لأصوب الدين ومحاولة تفسيرها تسور جديدًا وتوليد معان جديدة منها تقلام مع الزمان والمكان الذين يوجد فيهما النص «الأصولي» وهو رغم رفضه لبعض التعاسير الموروثة، لا يلجأ إلى التفسير الحرفي. لا إن كان النص لعنس يتطلب ذلك كما أن «الأصول» لا يجتزئ من النص المقدس مقطع ينتزعه من

سياقه ثم يفرض عليه أى معنى حرفى قد يروق له (ويتفق مع مصلحته)،
به يفسر فى إطار ما يتصوره المنظومة الدينية الكلية، وفى إطار النص
المقدس فى شموله وكليته وتركيبته وهذا ما فعله كثير من المفكرين
الإصلاحيين سواء فى المسيحية أم الإسلام أم اليهودية

أما فى إطار الحرورية، فيقوم المعسر بتفتيت النص المقدس ثم يفرض
عليه ما يشاء من معنى، وهو معنى لا يتجاوز ما فى عالم المادة من
أحداث مباشرة وقد أحوزت التفسيرات الحرفية نبوغاً فى الأوساط
الشعبية لأن الشخص العادى (خاصة فى العصر الحديث بعد عزله عن
تراثه وتاريخه) يريد أن يشعر ويدرك بحواسه الخمسة ويقض الدقة
وتحدد على التركيب والإيهام (أى أنه يمثل المعادلة الجبرية على
الشعر) ولذا فإنه يريد حين يفتح الكتاب المقدس أن يعرف المقابل المادى
لما جاء فيه

ولصهيونية المسيحية، شأنها شأن الصهيونية ذات الديهاجات
اليهودية، تنور فى إطار الحرفية، وهى أيضاً تلوى علق النص المقدس
وتوظفه لصالحها فجيرى فابويل، انواعط المشهور بتأييده لإسرائيل،
ينذهب إلى أن كتاب حزقيال يشير إلى أرض معانية لماشيح هى «روش»،
وهى أرض بها مدينتان هما «موشمس وتوبال»، وتصبح روش «روسيا»
وتصبح موشمس «موسكو» وتوبال «تبولسك» وستقوم روش بعزو إسرائيل
ونهبها (حسب سفر حزقيال)، ولذا فإن فابويل يمسر هذا بأن روسيا
ستقوم بعزو إسرائيل للحصول على المعائن (أطلق فابويل هذه التنبؤات

قيل سقوط الاتحاد السوفيتي فهل ي نرى لا يزال متمكناً بها، أم لا
سُطِّقَ نبوءات من نوع آخر؟ وكلمة «الذهب» يقابلها في الإنجليزية
كلمة «سبويل spoil» فإن حذف أول حرفين فإنها تصبح «اويل oil»،
أي البترول، وهذا تصبح الأمور شديدة البساطة ويمكن تحويل الكتاب
المقدس إلى دعوة لنزول مصادر البترول والاستيلاء عليها

الفصل السادس

معاداة اليهود :

تفكيك وتركيب ثلاث حالات

في لفصول السابقة تناولنا بعض الأكاديم الصهيونية وكيف يقوم الصهاينة بلي عبث الأحداث والأرقام والمفاهيم وتضريب المفاهيم إليها مثل مفهوم (الشعب اليهودي) و (الصهيونية المسيحية) وأسطورة (سنة تليوب) ومن المفاهيم التي تم تضريبها لب أسطورة أن هذا الشعب اليهودي مشتت عبر تاريخه وأنه دائماً ضحية اضطهاد الأعداء وقد نجح الصهاينة في إشاعة هذا المفهوم الأخير عن طريق تناول أحداث ووقائع وأساطير انعداء شيعونية بعد تجريدنا من سياقها التاريخي والاجتماعي والإنساني بحيث يمكنهم فرض معنى صهيوني عليها وهذا ما يمكن أن يحدث لأية واقعة تاريخية تتحول إلى مجرد واقعة ليس لها أيما تاريخية وقد تسرب هذا المفهوم الصهيوني إلى وجدنا وأصبح دون أن نعي . جزءاً من ترسانتنا الإدراكية وفي هذا الفصل سنتناول ثلاث وقائع عدة ما يشير بها الصهاينة في كتاباتهم، وسنحاول أن نبين كيف يفرضون لدلالة لصهيونية عليها، أي أننا سنقوم بعملية تفكيكية نوضح لنا المفاهيم الصهيونية الكامنة وكيف تتجسج هذه النماذج في أن تعيد صياغة الواقع وإحمراله بما يخدم الرؤية والمصالح الصهيونية ولكننا في

هذه الدراسة لن نقف عند هذا الحد بل سنقوم بعملية تركيبية وسنحاول أن نطرح قصوراً أكثر عمقاً ونساقية وتفسيرية لبعض الوقائع والأحداث، وسنتجرى ذلك عن طريق ربط الوقائع التي وردت في الكتابات الصهيونية بوقائع أخرى استبعدت الصهيونية بحيث تظهر الأنماط الإنسانية العامة كما نسا مع هذه الوقائع في سياقها التاريخي والإنساني وبذلك تكسب معناها التاريخ الإنساني الأعظم الذي يحرص الصهاينة على حجبها

الوقائع الثلاث

أولى الوقائع هو ما يُسمى بـ (تهمة الدم) أي نهم اليهود بأنهم يقتلون صبيّاً مسيحياً في عيد الفصح، سخرية واستهزاء من صلب المسيح ونظراً إلى أن عيد الفصح لمسيحي واليهودي قريبان، فقد تطوّرت التهمة وأصبح الاعتقاد بأن اليهود يستعملون دماء صبيّتهم في طقوسهم الدينية وأعيادهم، ونموذجاً في عيد الفصح اليهودي الذي أصبح أن خبز الفطير غير المخمر (الماتزوت) الذي يؤكل فيه يحضّر بدماء الضحية

وتعدّ جذور تهمة الدم إلى عصر لإغريق ولرومان، أي إلى ما قبل العصور المسيحية فقد أتى في كتابات آيبون الهيليني (لسكندري) وديمقريطس الروماني إشارة إلى أن اليهود يقدمون ضحايا بشرية إلى آلهتهم. ولكن هذا الادعاء لم يصبح جدياً من صورة اليهود الذهبية، ولم توجه هذه التهمة إليهم بشكل متكرر إلا في القرون الوسطى المسيحية في العالم الغربي.

ولد وجهت أدب تهمة دم في القرن الثاني عشر في إنكلترا في وقت كان اليهود يمارسون نشاطهم التجاري والمالي، ممّا كان يعني أن أقراناً

كثيرين اقترضوا اموالا من الربايي اليهودي، ولم يجبحوا في تسديدها وآلت ملكية بعض اراضيهم أو ربح مناراتهم إلى الربايي وقد اتهم يهود هونداك بأنهم دبحوا طفلاً عمره أربعة أعوام ونصف لعام، يدعى وبيام في الجمعة الحريفة في عام ١١٤٤. وقد قال أحد اليهود المنتصرين بن هذا هو هيد الفصح الذي تقوم فيه إحدى الجماعات اليهودية في إحدى مدن أوروبا بدمج طفل مسيحي (وقد نُصّب وليام قديسا فيف بعد) ثم وجهت تهم دم أخرى في مناطق مختلفة في إنجلترا، بين عامين ١١٦٨ و ١١٩٢ وقد انتشرت التهمة في فرنسا، فوجهت التهمة في برو، في العام ١١٧١ كما وجهت «تهمة» إلى اليهود خمس عشرة مرة في القرن الثالث عشر، ومن بينها حالة هيويس لنكولن (١٢٥٥) التي يذكرها تشوسر في حكايات كانتربري وقد سخر توحيه لتهمة حتى منتصف القرن العشرين، ومن أشهرها حادثة دمشق (١٨٤٠) وقضية بينيس (١٩١٣) وتعد حادثة دمشق مستثاء في أنها حدثت في عالم الإسلامي، - إنها تكاد تكون ظاهرة متصورة على العالم المسيحي وكاتب تهمة دم تأخذ عادة شكل التالي يختفي شخص مسيحي (في العادة طفل) أو يوجد ميت، فيتذكر أحد الأشخاص ان هذا الطفل شوهد اخر مرة بجوار احى اليهودي او ان هناك عبداً يهودياً ف (تتطلب شعائره بما نصرانيا) فيوجه إلى اليهود تهمة قتله ويتم القبض على بعض أعضاء الجماعة اليهودية، ويتم تعذيبهم ثم شق بعضهم.

أما الواقعة الثانية، فهي حادثة دريفوس الشهيرة، وبطلها هو العريف دريفوس (١٨٥٦ - ١٩٣٥) الذي كلل من كبار الضباط لفرنسيين وكان اليهودي الوحيد في هيئة أركان الجيش الفرنسي، وقد ولد دريفوس في الألزاس لامرأة يهودية ثرية مدمجة في محيطها الفرنسي وبظر إلى أن اسمه كان فلهلووژن، وهو اسم ألماني النكبة، فقد عبره إلى اسمه الفرنسي لدى شتمه به وقد اتهم دريفوس عام ١٨٩٤ بأنه أعطى وثائق سرية عسكرية للمحقق العسكري لألماني في يديهم، وقد قامت سلطات العسكرية بمحاكمته وتابعت لصحافة لعادية سيهود آسداك الأحداث وكانت تحيي الرأي العام ضد دريفوس، مما خلق جواً قبيحاً ملائم لضمائر حديد انبعاثه وهي نهاية الأمر، قضت المحكمة عليه بالنسخ مدى الحياة وجرد من رتبته مما قام الجماهير وتلقى في (جريدة الشيطان) (ديبلو ايلاند) بتي تمنع على الساحل الأخرى وكانت مستعمرة من قبل فرنسا وقد رُحبت الصحافة المعادية لليهود بالحكم

أما الواقعة الثالثة فهي حادثة ليفرانتك، وهو يهودي أمريكي ولد في تكساس ونشأ في بروكلين وكان يعمل مديراً لمصنع أقلام في اتلانتا جورجيا، حيث قبض عليهم بتهمة قتل ثلاثة بيضه عمره ١٣ عاماً، تدهى ماري فيغان، بعد محاولته اغتيابها وقد حوكم فرانتك وصدر حكم بهدمه ويقال إن ثوبه يهوديا كان عَصْرُ هَامْ اثر في محاكمته وهي الأحداث التي تلقها وحسباً خعب حاكم الولاية بحكم إلى السجن مدى الحياة، ما جلب مجموعة من المواطنين نسخ وخططت فرانتك وشقيقته

في المدينة التي ولدت ودُفست فيها ضحيته المفترضة، وهو ما يُسمى في
اللهجة الإنجليزية - الأمريكية Lynching

«تهمة الدم» في سياقها التاريخي

وترد الوقائع الثلاث السابقة في لكتابات الصهيونية بهذا التجريد
ومتنازع حتى يستخلصها القارئ، أو التي تُستخلص له، هي أن اليهود
لا ينتمون إلى مجتمعاتهم؛ إذ أن مجتمعات الأغيار تبذهم وتضطهدهم، لا
لذنب اقترفوه سوى لأنهم (يهود) وبقاؤهم لوحيد هنا بين الصهاينة
واعداً، اليهود أن الفريق الثاني يقول: إن كل المجتمعات تبذم لليهود
وتضطهدهم لأنهم يستحقون ذلك. ولكن الفريقين يتفقان على حقيقة البذم
والاضطهاد، بسبب طبيعة اليهود الخاصة، وبالتالي حتمية خروجهم.

وطبيعة اليهود بخاصة هذه هي التي تصبح (توبيخ اليهودية) في
الخطاب الصهيوني، أما الاضطهاد (ونتيد) فيصيران الحركة بطاردة من
المجتمعات الأصلية، و(لخروج) يصبح هجرة الاستيطان إلى فلسطين
وبالتالي، فحين من منظور أخلاقي ومعرفي وعلمي، يجب أن نقف ضد
معاداة اليهود ومن نادر أن نجد مثل هذا التوافق شبه الكامل بين
المستويات الثلاثة المتناقضة في أية قضية من قضايا، إذ عادة ما يوجد
توافق بين المنظورين الأخلاقي والعلمي، كما أن المنظورين المعرفي
الأخلاقي قد لا يتفقان بالضرورة.

وبعداً بتهمة الدم، ولتحلُّول أن نصنعها في سياق تاريخي إنساني
عام. ظهرت تهمة الدم بعد أن تحولت أعضاء الجماعات اليهودية في

العالم العربي إلى جماعات وظيفية وسيطة تشتمل على التجارة والزراعة وكان يتم تشبيههم بالأسعجة النسي تمتص ثمرات كل الطبقات، والطبقات الشعبية على وجه الخصوص، ثم يختصمها الإمبراطور لحسابه بعد ذلك، (وهو أمر لم تكن تدركه لطبقات شعبية) ومن هنا الإشارة إلى اليهود كعقلاء جماعة وظيفية وسيطة (لا إلى اليهود كيهود) على أنهم «مصاصو دماء» وليس من الصعب على الوجدان الشعبي تحويل المجاز إلى حقيقة

وتوجيه تهمة الدم كدس يعني في واقع الأمر شق عدة يهود، من ضمنهم عدد كبير من المراهبين، فقد كانت هذه هي إحدى أهم الوظائف التي فطن بها اليهود في التشكيل الحضاري العربي وكان هذا يعني في كثير من الأحيان سقوط الفتيون؛ أي أن توجيه تهمة الدم يشبه، من بعض الوجوه التخطيط لسرقعة مصرف من مصارف وشق اليهود كدس بمثابة النجاح في هذه العملية، وهي عملية تشبه، أيضاً، عمليات روبن هود، ندى كان يسرق من الأثرياء ليعطي الفقراء ولكن الخيانة الملكية كانت تستفيد أحياناً من تهمة الدم، حينما كانت تترك يديون المراهبين ندى يُشقق أو يضرد إن النخب الحاكمة كانت تتهز الفرصة لابتزاز أعضاء الجماعة اليهودية لحسابهم

ويبدو أن تهمة الدم صورة إفراكية معطية تتكرر في الوجدان الشعبي، وهي عادة اتهام يستخدمه قريش ضد أعدائه ليسقط عنهم إنسانيتهم. وبعد أنهم يفجر بأنهم يخطفون لأطفال ويمصون دماءهم؛ كما وجهت التهمة عيها إلى المسيحيين الأول، وكذلك إلى القوميين، وإلى إحدى الفرق

الدينية الإيطالية في عام ١٤٦٦ وقد اتهم المبشرون المسيحيون في الصين، في عام ١٨٧٠، بأنهم يسرقون الأطفال الصينيين، ليصنعوا منهم دواء سحرًا. واتهم الأجانب في مدغشقر، في عام ١٨٩١، باقتلاع قلوب البشر. أما الرهبان الدومينكان، فقد اتهمهم أعداؤهم من الرهبان المرسيمكان باستخدام دم وحواجب طفل يهودي في بعض طقوسهم السرية! أي أن تهمة الدم لم تكن مقصورة على اليهود وإذا كان المرءون الآخرون في العصور الوسطى القريب، مثل اللومبارد والكوهارسين (وهو مسيحيون) لم توجه إليهم تهمة الدم - حسب علمنا - فقد وجهت إليهم تهم أخرى، لا تقل عنها سوءًا، كما أنهم كانوا عرضة للطرود، والمصادرة، والشتق

وقد ساعد تكرار مناظر الدم والقتل في العهد القديم على إلصاق التهمة باليهود دون المرابين المسيحيين كما أن طقوس اليهود الدينية، خاصة طقوس عيد الفصح، كانت تثير الريبة في نفوس أعضاء الأغلبية، الأمر الذي كان يجعلهم يبحثون عن تفسير لها (هذا مع العلم بأن العهد القديم يمنع شرب الدم، أو أكل اللحم قبل تصفية الدم منه)

ولم يكن اليهود يفلتون في مقابل الأشهار كما يدّعى الصهاينة بذلك. فالهبة الحاكمة (الكنيسة والامبراطورية والملوك) كانت تدافع عن أعضاء الجماعة ضد التهم التي كانت توجهها إليهم عامة الشعب. فحين البابا ابوست الرابع، في مرسوم أصدره عام ١٢٤٥، أن التهمة باطلة، وحرم على المسيحيين توجيهها إلى اليهود، ودافع الباب غريغوري العاشر، في

مرسوم أصدره عام ١٢٧٤، عن اليهود كما فعل يابوات آخرون الشيء
عنده وفي عام ١٧٥٨ أصدر الكاردينال لورينزو جانجاني (نيابا كيمييت
الرابع عشر، فيما بعد) مذكرة يدين فيها تهمة الدم وقد أصدر التحريم
عنده الإمبراطور الأساتي فريديريك الثاني (حكم من ١١٩٤ إلى ١٢٥٠)
وميراطور النمب رودولف من أسرة الهابسبرج في عام ١٢٧٥ وقد
أصدرت الحكومة في بولندا، في العصور الوسطى، قراراً بأن من يوجه
التهمة إلى اليهود دون أن يثبتها ببراهين قاطعة يحكم عليه بالإعدام وقد
هاون الكثير من مسيحيين والعلماء تعيد لتهمة وإقناع الناس بيطلاها،
ولكنهم، مع هذا، فشلوا في مساعدتهم، واستمرت تهمة الدم مرتبطة،
ارتباط وثيق بصورة اليهودي، حتى عهد قريب

أما تهمة الدم في حادثة دمشق، فقد كانت مرتبطة بالمرامح بين
الاستعماريين البريطانيين والفرنسي الذين كان يتنافسان على مد نفوذهما من
طريق «حمایه» أعضاء الأقليات المسيحية» فكان الفرنسيون «يحمون»
الكاثوليك والارمن (الذين وجهوا تهمة دم) وكان البريطانيون، نظراً
إلى عدم وجود مسيحيين بروتستانت بأعداد كبيرة في العالم العربي
(يحمون) يهود، خاصة في روسيا، وهي بلدتهم لأصلي، لم تكن مهمتهم
بهم كثيراً بسبب وجود المسيحيين الأرثوذكس، ولأن روسيا لم يكن لها
نفوذ في الشرق الأوسط، إذ أن مشروعها الاستعماري كان موجهاً إلى
مناطق أخرى وقد أصدر السلطان العثماني فرماناً يحرم فيه تهمة الدم.

تساعة إذا أكثر تركيباً مما يصورها الصهاينة ، فتحة العم ظاهرة شعبية ، ليست مفصورة على أعضاء الجماعات اليهودية كما أن العالم لم يكن ينقسم إلى يهود وأهبار ، فالسلطات الحاكمة كانت تقف في صف اليهود ، إما لأسباب دينية (كما هو الحال مع الكنيسة) أو لأسباب اقتصادية (كما هو الحال مع الأباطرة) أو لحايظ منها (كما هو الحال مع الخليفة العثماني)

دريغوس والصراع بين الكنيسة والقوى العلمانية

أما الواقعة الثانية ، فهي واقعة نفرد دريغوس التي وُضعت بأسها تركت أثراً عميقاً في هرتزل ، إلى درجة أنه اكتشف حيث محاولة الاندماج ، فتبين بدلاً من ذلك الحل الصهيوني وهذه في حد ذاتها عملية تبسيط فجة للعوامل التي أدت بهرتزل ، إن اقتراح دولة الصهيونية حلاً لمسألة اليهودية ولكن من «خلفاء» التي لا تورطها لمراجع الصهيونية أن هرتزل نفسه كان مقتنعاً في بادئ الأمر بأن دريغوس كان مدنياً وحائثاً ، ولا أعرف ما الذي جعله يغير رأيه فيما بعد ولكن ليس هنا هو موضوع الحديث . ولذلك فسوف نحاول أن نضع واقعة دريغوس في إطارها التاريخي والاجتماعي والإنساني

ابتداءً ، كان دريغوس محل شك المخابرات الروسية ، لأسباب وجيهة فالقوات الروسية كانت تجد كثيراً من يهود أنساب ويهود الألس والنورين للعمل جو سيس لحسابهم وبذا ساد الاعتقاد بأنه لابد وأن ألمانيا لديها كانت تفعل الشيء نفسه (وهو أمر متوقع) ويجب أن نتذكر أن هذا

جزء من الإدراك الأوروبي لليهود، وهو إدراك كانت تدفعه بعض الممارسات التاريخية ففي القرن السابع عشر، لعب أفراد الجماعات اليهودية في أوروبا دوراً أساسياً في عملية التجسس بين الدول، وقد حاول لويسفر كرومويل أن يحطّب ود اليهود وبوطنهم في إنكلترا، حتى يستفيد من خدماتهم كجواسيس له

وبلاحظ أن تلك الفترة شهدت كساداً اقتصادياً في أوروبا، الأمر الذي أدى إلى انتقال أعداد كبيرة من المهاجرين إلى فرنسا، فجاهاجرون من إيطاليا وغيرها من البلدان الأوروبية فكان عدد الإيطاليين ١١٢ ألفاً في عام ١٨٧٢، ازداد إلى ٣٠٠ ألف في عام ١٨٩٠ وقد جاء معهم قرويون، من القرى الفرنسية، يتحدثون لهجاتهم المحلية، مثل البريتون والأفيرنيان Auvergnat، كما هاجرت أعداد كبيرة من يهود الألزاس واللورين الذين لم يكونوا قد اصطفوا بعد بالصيغة الفرنسية ووصلت أعداد كبيرة من يهود شرق أوروبا، الذين يتحدثون اليديشية (وهي لغة ألمانية). وقد أدى كل هذا إلى زيادة عدد الأجانب. كما أن تزايد يهود شرق أوروبا ويهود الألزاس واللورين على حساب المنصر اليهودي الفرنسي المحلي أدى إلى تصنيف كل أعضاء الجماعة اليهودية على أنهم أجانب. ومن المعروف أنه في فترات الكساد الاقتصادي، تتعرض العناصر الأجنبية للهجوم من قبل السكان المحليين الذين يتهمون العناصر الوافدة بأنها سبب الأزمة، إن العامل الأجنبي يرضى بأجر أقل ومستوى معيشي أكثر انخفاضاً علاوة على هذا، كان الجو العام في فرنسا آنذاك

متوترًا خاصة بالنسبة إلى أفراد الجماعة اليهودية، بعد هزيمة لجيش
الفرنسي على يد الألمان في عام ١٨٧٠، إذ كانت العناصر الليبرالية (التي
كانت تصمم نسبة عالية من اليهود) تقف ضد فكرة الانتقام من ألمانيا
كما أن المد العلماني كان خدًا في التزايد، وفي الإصرار على فصل الدين
عن الدولة بشكل كامل. ويجب أن نتذكر أن الثورة الصناعية قد اقتلعت
الكثيرين من جذورهم، ودت إلى إقمارهم، وقذفت بهم إلى المدن الكبرى
مثل باريس وكان المقتسمون هؤلاء يشعرون بعدم الأمن تجاه المجتمع
الجديد، بعلميته وثوريته وقيمه التجارية والذي كان اليهود يتواجدون
في مركزه اتقاه في ذلك، كان هناك عدد كبير من اليهود بين قادة
كومنونة باريس في عام ١٨٧١ وقد أدى هذا كله إلى ربط بين جماعته
اليهودية والعناصر الثورية والعلمانية والفوضوية في المجتمع وعلى الرغم
من هذا ارتبط اليهود (عبر تاريخ أوروبا، منذ العصور الوسطى حتى العصر
الحديث) بالمصالح المالية الكبيرة بالمصارف والشبكات المالية وتجارية،
وهي صورة دعمها بروز اسرة روتشيلد في عالم التجارة والمال.

وهكذا أصبح اليهودي رمزًا مقبولًا لكثير من عناصر المناقضة ومحط
شك الجماهير وكرهها، فهو الأجيبى البغيض، وهو اشوري علماني
التقدمي الذي يحسن لواء المجتمع الجديد المدع، ولا يكثر بأية قيمة
موى مريح، ولا يرتبط بأية أرض موى السوق وقد كانت الصحف
المعادية لليهود تشير إلى مرفوس باعتباره نرأسيا وأجيبيا وعصو في
طبقة المولدين لأثرياء

وقد نصبت أعداد كبيرة من ضحايا الثورة الصناعية إلى التنظيمات
المعمية لليهود التي كانت تستخدم حبيطاً جدياً ومريحاً من الديبجات
المسيحية والاشتراكية والعرقية، ويطرح صورة لمجتمع مبني على التضامن
المسيحي، والتكافل الاجتماعي، والتعاون الاقتصادي، يتف على طرف
التيه من المجتمع الصناعي الجديد، المبني على التضامن والتفاهل،
والذي يؤس بإمكانية اليقاء للأصيح ولأقوى وحسب وقد مضت غالبية
الفراد الجماعة اليهودية المتمركزين في العاصمة إلى القوى العثمانية
وتقدمية التي ادرب المعركة مع العناصر الدينية والمحافظة في يهودي
كان بلا شك رمزاً هاماً للقوى الجديدة؛ ولكنه لم يكن قط أحد أطراف
المعركة؛ إذ أنه كان جزءاً من كل، والكل هو القوى الاجتماعية المتصارعة
في المجتمع الفرنسي في أواخر القرن التاسع عشر، والتي كانت كل
واحدة منها تحاول أن تصوغ المجتمع حسب رؤيتها وقد حولت هذه
القوى قضية دريموس إلى حلبة صراع فيما بينها

ففي عام ١٨٩٦، اكتشف جورج بيكار، رئيس مختبرات الجيش
الفرنسي وبطل الحقيقي لواقعة دريموس، أدلة تثبت براءته من اتهمه
بمسو به إليه، وتشير بأصابع الاتهام إلى شخص آخر هو الميجور
اسفهرزي، الذي كان قد لعب دوراً هاماً في سير أحداث القضية بحيث
انتهت إلى الإدانة الدمة للكابتن دريموس. وقد حاول بيكار إقناع
المثولين بإعادة المحاكمة، ولكنه أمر بالتزام الصمت، وتُقل إلى موسى
بسبب ذلك

وقد شنت حملة إعلامية مكثمة، قادها المفكر الفرنسي اليهودي، برنارد لازار، للمطالبة بإعادة النظر في القضية، وكتب مقالات عدة دافع فيها بحماس عن دريفوس، كما طالب رئيس مجلس شيوخ الفرنسي بإعادة النظر في القضية، لاقتناعه ببراءة دريفوس. وتحت إلحاح الموقف استفجر وإصرار بهكار قبض على اميجور استرهارى، وحوكم برأ للرماد فى العيون، ولكنه بُرئ بسرعة، لعدم كفاية الأدلة فكذب لروشى الفرنسي إميل رولا سلسلة مقالات تحت عنوان «إنى أتهم» هاجم فيها المحاكمتين، وكانت النتيجة ان اتهم رولا بالهدف بعلنى، وحكم عليه بالسجن، فهرب إلى إنجلترا وجاءه بورت أحداث جديدة غيّرت مجرى القضية، فقد اسحر شاهد الإثبات الاوب فى القضية، نكولوميل هيوبرت جوزيف همرى، فى أثناء استجوابه، وذلك بعد أن اعترف بتزويره للوثائق التى أدت إلى إدانة دريفوس وعنفدا عم استرهارى بحادث الانحلال اعرف بجرمته، وفر إلى إنجلترا وفى صيف عام ١٨٩٩، أمرت محكمة البعث بإعادة محاكمة دريفوس فى ضوء الاحداث التى استجدت، ولكن تحت ضغط بعض الشخصيات ذات النفوذ فى الجيش أعلن مرة أخرى، به مدتب وهى هذه المرة حكم عليه - مع مراعاة الظروف المخففة - بالعيس عشر سنوات كان قد قضى خمسًا منها فى المنفى وبعد أيام عدة، أمر الرئيس بمرسى امين بوبيه بابعوه هه وقد حث كثير من أصدقائه ولدافعين على استئناف الحركة لإثبات براءته للقامة، لأن القضية قضية مدنية تتجاوز الأشخاص، فهو أن دريفوس

نفسه لم يكن مدركاً للأبعاد السياسية التي اتخذتها هذه القضية، فكان كل ما يتمناه وتنمناه عائلته الثرية اندمجة، هو الإخراج عنه، سواء عن طريق المعز أو التبرئة، ولد قبل قرار العقو أما ميكاك فقد أصبح بطلاً قومياً، ورفاه رئيس الجمهورية إلى مرتبه بريفدير جمرال، وعُيِّن فيما بعد وزيراً للحرب

وقد أعيدت محاكمة دريفوس، مرة أخرى، في عام ١٩٠٣، بسقط من القوى لملامته والثورية، وصدر الحكم بقبولته، وأعيدت إليه حقوقه السابقة وعُيِّن في هيئة الأركان، مسرة أخرى، بوظيفة مأموراً، وتلقى وسام شرف، ولكنه ما لبث أن ترك الخدمة وقد فُهِس فُسي أثناء بحرب العالمية لأولى كونيلاً وقائداً لأحد قطاعات باريس وقد عمقت هذه القضية الخلافات الموجودة بين يدي، وخصوصاً النظام الجمهوري في فرنسا، وأدت إلى تقوية الأحزاب الاشتراكية، وكانت وراء التساؤل الذي صدر في عام ١٩٠٥، بفصل الدين من الدولة

إن قضية دريفوس لم تكن قضية بسيطة، كما أنها لم تكن قضية يهودية فدريفس ذات كان يهودياً ولكنه لم يكن بطل القضية، وإنما موضوعها وساحتها أن بطل القضية الحقيقي فلم يكن يهودياً، كما أن القوى المناصرة (العلمانيين ضد الدينيين) لم يكن اليهود سوى عنصر واحد من عناصرها لكثيرة، فالقضية كانت قضية خاصة بالجميع الفرنسي في إحدى مراحل تحوُّله نهامة بعد تصاعد معدلات العلمانية فيه ولا يمكن فهم القضية بالعودة إلى التاريخ اليهودي أو حتى تاريخ

الجماعة اليهودية في فرنسا وإنما بالمودة في تاريخ فرنسا، وتاريخ أوروبا
ككل

واقعة ليفورناك

أما الواقعة الثالثة، فهي واقعة ليفورناك وسنكتشف مرة أخرى أن
يهودية ليفورناك لم تكن هي العنصر الأساسي الذي أدى إلى اضطهاده
وقتل، فأهل الجنوب لم ينظروا إليه باعتباره يهوديًا، وإنما باعتباره رمزًا
متبلورًا لعنصر تاريخية واجتماعية وثقافية عدة، ليس لها علاقة وثيقة
بيهوديته، شأنه في هذا شأن دريفوس. وأهم هذه العناصر على الإطلاق
هو أن المجتمع مسرح الواقعة كان يخوض هو الآخر ثورة صناعية حقيقية
مقارنة مع كل ما يماثل مثل هذه الانقلابات من ظروف صحية سيئة
ولمراس اجتماعية عاش في ظلها أعضاء الطبقة العاملة من البيض
المحليين، أو المهاجرين المقتلمين من جنوبهم الزراعية، سواء في أوروبا
أم في الجنوب

ومن مظاهر الثورة الصناعية تركيز السكان في المدن وقد تضاعف عدد
سكان مدينة أناتس، في ولاية جورجيا، بين عامي ١٩٠٠ - ١٩١٣،
إلا زاد من ٨٩٨٧ نسمة إلى ١٧٣,٧١٣ نسمة، وهو بعد أعلى معدل ارتفاع
لأية مدينة أمريكية في الفترة عيشها (باستثناء برمنجهام في ولاية
ألاباما). وكان نمو المدينة عشوائيًا فلم توجد مؤسسات اللامعة للحياة
الإنسانية كركبة، مثل أماكن الترويح، أو أماكن السكن، أو ما يكفي من
المستشفيات العامة وكانت أتلانتا تعاني من أزمة مساكن، فقد كان يوجد

٢٠,٣٠٨ مسكن لـ ٣٥,٨١٣ أسرة، ونصف السكان لا تصنه المهنة، وكان حوالي ٥٠ ألف شخص يعيشون في منازل لا يوجد فيها نظام بالصرف وكانت نسبة تلوث الجو عالية للمدينة، وهذا انتشرت الأمراض، مثل التيفوئيد وغيره، وارتفعت معدلات الوفاة ويقال إن ٩٠ بالمئة من المسافرين كانوا يمانون من مرض البرص وقد زاد فقر سكان أتلانتا بشكل رهيب (كان الطفل يتقاضى ٢٢ سنتاً منظر عمله لمدة أسبوع، وكانت ماري فيلمان قد ذهبت لتتقاضى أجرها عن أسبوع كامل وهو دولارا وعشرين سنتاً).

ولم يكن الجو موبوفاً من الساحة المدنية فحسب، وإنما من الناحية الأخلاقية أيضاً (وهذا أمر متوقع في مثل هذه المجتمعات) وقد انتشرت كل أنواع الجرائم، من لسرقة والقتل والاندعارة والسكر وكانت نسبة الجريمة في أتلانتا أعلى النسب في الولايات المتحدة لأميريكية، وتعاود بسيتها في شيكاغو عاصمة الجريمة في العالم وقد قبضت الشرطة، في عام ١٩٠٧، على ١٧ ألف شخص من مجموع السكان البالغ عددهم ١٠٢,٧١٠. ومع هذا، كان جهاز الشرطة هزلاً بقاية، إن أن مجموع عدد العاملين في قوة الشرعة كان لا يزيد على ٢٠٠ شرطي وكان يوجد في هذه المدينة الواسعة مركز شرطة واحد، ولذا كان كثير من المجرمين يفرون من قبضة القانون، وقيل إنه من كل ست جرائم قتل كانت تصب في جريمة واحدة وفي عامي ١٩١٢/١٩١٣ بدات، كان هناك ١٢ جريمة قتل لم يتم الاهتمام إلى مرتكبيها

هذه هي بعض مظاهر الثورة الصناعية في انجلترا. ويجب التنبيه بان هذه الثورة كانت جزءاً من عملية غرو واسعة في الجنوب الأمريكي مسرح الواقعة كان لا يزال يشعر بمذاق الهزيمة في الحرب الأهلية (١٨٦١ - ١٨٦٥) حين هزم الشمال الصناعي الجنوب الزراعي وأكد سلطته الحكومة الفيدرالية على حساب استقلال الولايات المختلفة وقد فقد ما يقرب من ٦٠٠ ألف شخص جوانهم، بان هذه الحرب وبعد انتصار الشمال، ثم فتح الولايات الجنوبية لرأس مال الشمال، وللتخربة الشمالية التي أسست الصناعات وعزت السوق ويرى بعض المؤرخين ان العلاقة بين شمال والجنوب كانت علاقة شبه كولونيالية وأن ما سماه الشماليون «توحيد» الولايات المتحدة الأمريكية هو، في واقع الأمر، غزو شمال الجنوب وهيمته عليه وهو غزو لمجتمع زراعي، كانت تسود فيه علاقات شبه إقطاعية، توجد على قمته، رستقراطية تعتز بمكانتها الرفيعة، وبصيم الجنوب، وبالاتزام الاقتصادي. وكان مجتمع الجنوب مجتمعاً انجلوساً كسوبياً بروستانتياً متجاسماً، لم يستوطن فيه ملايين المهاجرين، كما حدث في بقية الولايات لثحدة الأمريكية، خاصة على الساحل الشرقي وكانت مؤسسة الأسرة قوية للغاية في مجتمع الجنوب، وتضم بقدر كبير من لباسك وكانت المرأة هي رمزاً لهذا لباسك الأسري، ولذا كانت محط تقديس مجتمع وأعضاء مثل هذا المجتمع الزراعي الأرستقراطي عادة ما ينظرون بكثير من الاحتعار، بل والبغض، إلى الاقتصاد النقدي، اسينى على التعاقد وعلى آليات العرض والطلب

وقد كانت شكوك أهل الجنوب في محلها، إذ أنه بعد هتوحيد الشمال مع الجنوب فتح الجنوب للصناعات الشمالية، التي عاجرت لتستفيد من العمالة الرخيصة والأراضي قليلة التكاليف والأسواق البكر وهي صناعات لم يخدم كثيرًا تقاليد المجتمع، وساهمت في تفكيك سيجة المجتمع، وفي تخطيط بنية الأسرة فكان الأطفال والنساء يعملون في المصانع ساعات طويلة وقد أدى دخول الصناعات إلى تزايد معدلات التحديث والعلمنة بكل ما يتبعها من تفكك اجتماعي، خاصة وأن هذه الصناعات لم تظهر نتيجة تطور عضوي بطيء، وإنما فرضت عليه هرقاً من مجتمع اليانكي الشمالي.

كان يوفرايك رمزاً لهذه القوة العارمة، فهو رجل صناعي ومدير مصنع جاء من الشمال يستقر في الجنوب، وهو مجتمع زراعي ينظر بعين الخلق إلى الصناعة وكان يعوم باستئجار النساء والأطفال كعمالة رخيصة في مجتمع كان يقدس الأسرة حتى عهد قريب وكانت تقم الإشارة إلى ماري فيغان على أنها «صانعة المصنع الصغيرة»، أي أنها تحولت إلى رمز الطفولة البريئة التي استغلها المستثمرون من الشمال وهو كثر خريجاً جامعيًا وعضوًا في نخبة العلمانية المهمة، التي لا تكثر كثيرًا بالقيم التقليدية في وسط بيئة جنوبية عمالية مقلعة من بهتها الزراعية، لا تزال تؤمن بقيم التقليدية والمسيحية (البروتستانتية)، تحرم بالمجتمع الممارس الذي نمر بإن الحرب الأهلية ولم تكن يهودية فرائك سوى بلورة لكل هذه العناصر السابقة؛ إذ أن المعركة الحقيقية كانت بين الشمال

الصناعي الغازي والجنوب الزراعي الذي تم عزوه، بين هجليما التقدم والصعدة، من جهة، ويمثلي هذا المجتمع الجديد الرهيب، من جهة أخرى

ولعله يكون من المقيد أن نتوقف قليلا، عند نقطة انتماء فرائث اليهودي فقد كان يشغل منصب رئيس فرع جماعة بناي بريت اليهودية في المدينة لايد من أن نعرف كذلك، على وجه الدقة، موقف الجنوب الأميركي من اليهود. وقد حدد الجنوب الأمريكي انتماء على أساس عرقي. أبيض هو مقابل أسود، على عكس الشمال الذي عرّفه على أساس عرقي، أو اثني ديني. بروتستانت أبيض - جنوب - ساكنون في مقابل كاثوليك أبيض من أصل إيطالي أو أيرلندي، أو كاثوليك إسباني، أو كاثوليك أو بروتستانت أسود. وكل هذا في مقابل يهودي بطبيعته الحال (وبالتالي يكون اليهودي الأسود في أسفل الدرك) ومن الواضح، أن التعريف الجنوبي لم يستبعد يهودا، وإنما صنفهم على أنهم بيض، كما يحدث في جنوب أفريقيا وقد سمح لهم هذا التصنيف بدرجة عالية من الاندماج والحرث الاجتماعي، وأصبحوا جزءا عضويا من المجتمع، وكانوا أعضاء في النخبة الحاكمة، وامتلكوا الميراث وناجروا بهم فلم يكن هناك مقولة مستقلة لليهودي في الوجدان الجنوبي التقليدي.

وقد احرى انما إلى ان فرائد كان رمزاً للقوة الغازية الضمنية ويمكن أن نضيف، هذا، أنه مع التحولات التي أدخلت إلى الجنوب كتسمت كلمة «يهودي» مدلولاً جديداً فأعضاء الجماعة اليهودية في جورجيا لم

يكونوا يهود الجيوب النقيديين، وما كانوا واقفين، كانوا عصباً غريباً جديداً، له طابع اثني وظهري مميز، ويهود أثلاثاً، في عام ١٩١٠، كانوا يشكلون أكبر جماعة من المهاجرين الأجانب، إذ بلغ عددهم ١٣٤٢ في ٢٥ بائعاً من مجموع كل الأجانب وعلى الرغم من أن نسبتهم لم تتجاوز واحداً بالمائة من عدد السكان، إلا أنهم كانوا يشكلون جماعة وظيفية حثيئة بروزاً مشيخاً فاليهود المهاجرون كانوا يمتلكون معظم الحانات ومحلات الرهونات وبيوت الدعارة (وهذا جزء من ميراثهم الاقتصادي الأوروبي) وكان ربائهم، أناب، من الروح وقيس أن بيوت الدعارة التي امتلكها اليهود، كانت ترتبها صور ساء بيض تشير شهوة الروح، الذين كانوا يحتسون الحمر في الحانات اليهودية هو يظلمون بعدها كالوحوش، وهذه صورة إدراكية عنصرية، ولكنها، مع هذا، ربطت الجرائم الجنسية في ذهن سكان أثلاثاً بيهود وكان فراكك نفسه، مشهوراً بممارله التعاملات وملاحقتهم. وقيل إن ماري هيمان، نفسها، شكت إلى صديقاتها من محاولات فراكك الإباحية وقد تكون هذه الاتهامات باطلة تماماً، قد يكون سلوك فراكك «الإباحي» ليس سوى سلوك أي شخص من مجتمع حضري مفتوح يتصرف بحرية زائدة في مجتمع مغلق أو قيمه معلقة، «تفسر كل حركاته بشكل مبالغ فيه، قد يكون هذا هو الوضع، ولكن المهم إدراك الدرس له، وليسوى، خاصة وأن اشتغال اليهود بالهنو المشينة عزز هذا الإدراك

إلى جانب كل هدد بشرية لاجتماعية، والتاريخية، والثقافية، ثمة جانب إحصائي هام، فالدراسات الصهيونية لا تكف عن الإشارة إلى قصة فرائك، وإلى الظلم الذي حاق به، نتيجة احتطافه من السجن وشقيقه، بعد أن خُفّ بحاكم لحكم عليه ولكن هذه الدراسات لا تذكر هذه الحقائق

١ - أن احترام القانون لم يكن سعة سائدة في المجتمع قعلى سبيل المثال، لجأت الشرطة، بات مرة، إلى القبض على كل الذكور لقادريين، لأن ثلاث كانت تعاني من نقص في العناية كما أنه من المعروف أنه في عام ١٩٠٩، اتهمت الشرطة بصرب أحد لرتوح صوباً أنصى به إلى الموت، وأتهم قابوا بتهديد امرأة يهضاء إلى الحائط حتى رقت روحها

٢ - اندلعت في عام ١٩٠٦، اضطرابات بين السكان البيض، الذين هاجموا حتى السود لعدة أيام واشتبكوا معهم، فقتلوا عشرة رتوج وجرحوا اثنين (بينما قتل من بينهم رجلان وجرح عشرة) واضطرب المدينة إلى استدعاء الحرس الوطني، وقيل إن لاضطرابات اسبعت نتيجة تقارير مثيرة نشرت في الصحف عن هجوم السود على النساء البيضات.

٣ - كانت مدينته محتاجة إلى مزيد من الأيدي العاملة، وبالتالي إلى مزيد من المهاجرين، ولكن كلاً زاد عدد المهاجرين كما ان ترنداد نسبة غضب السكان لمحليين المقتلعين ففي عام ١٨٩١، تم احتطاف، وشق، أحد عشر مهاجراً إيطالياً وفي عام ١٨٩٩، اختطف خمسة آخرون. وفي عام ١٩٠٠، اختفى ثلاثة آخرون تحت ظروف غامضة

٤ - شهدت الفترة من ١٨٨٩ إلى ١٩١٨ ما مجموعه ٢٥٠٠ حالة «المشج» أخرى (اختطاف مساجين وشنقهم ضد سلطة القانون)، وكان معظم ضحايا الاختطاف من السود، كما تم اختطاف قلة من أعضاء الأقليات الأخرى ولكن لم يكن هناك سوى حالة واحدة فقط اختطف فيها يهودي، وشق، وهي حالة ليوفرامسك وهكذا تحول الاستثناء إلى قاعدة، وتحول الخاص إلى عام، وتحول الواقعة العابرة إلى رمز عالمي مركزي! وقد صدر عن قرانك في عام ١٩٨٦ ويرى اسمه

بين حشد الحقائق ومعرفة الحقيقة

فيما سبق، تم محاولة أن تعرض معنى محدداً على بحقائق بدلاً من المعنى الصهيوني العنصري اللاإنساني، وإنما وضعها في سياقها التاريخي الاجتماعي الإنساني المربص، فظهر معناها الإنساني الكامن لوحده، وتكلم لنا أن الضحايا اليهود تم إسقاط بسبب يهوديتهم المطلقة والسبب غير مفهوم أو ميتافيزيقي، وإنما سقطوا نتيجة مركب من الأسباب الاجتماعية التاريخية المفهومة، وأن يهوديتهم لم تكن سوى عنصر واحد ضمن عناصر كثيرة، بل لم تكن يهوديتهم ذاتها سوى بلورة لعناصر أكثر عمقاً إذ لا يظهر اليهودي كيهودي، وإنما كمرابي (تهمة الدم) أو كألزاسي أو عميل ألماني أو جنوبي (بريفوس) أو ضابط علماني جامعي صاحب مصنع (ليوفرامسك)، وأن الهجوم الذي كان يتم على اليهود ليس مقصور عليهم، وإنما هو هجوم موجه ضد كل القوى المماثلة في المجتمع

وقد ذكرنا كل هذا لا من قبيل تبرير الهجوم على اليهود، أو صيرهم من أعضاء الأقليات؛ فهذا ما لا يسمح به الإسلام (على عكس ما قد يتصوره البعض، وعلى عكس ما يشاع) ولا يمكن تبريره، وإنما ذكرناه من قبيل محاولة فهم الوقائع واستخلاص معناها الحقيقي. وبلاحظ أننا بهذه الطريقة نسقط عن يهودى عجائبيته وعجازه وفرادته (التي يصرّ عليها الصهاينة والعاديون لليهود)، ومستعيد له إنسانيته. وإذا ما أتركنا المسمى الإنسانى الكامن فى واقعة ما، يكون الحزن من أجل الضحية حزن إنسانياً لا يُوظف فى خدمة عقيدة عنصرية استيطانية؛ إذ إنه إذا سقط اليهودى (شأنه شأن أعضاء الأقليات ولجماعات الأخرى) ضحية العنف فى مجتمعه، يصبح الحل هو أن ينضمّ إلى جماعات التي تدافع عن حقوق الإنسان (من أعضاء الأقليات الأخرى وأعضاء الأغلبية)، وأن يناضل من أجل حقوقه داخل مجتمعه. وتصبح القضية هى كيف ندافع عن حقوق اليهود السياسية والدينية، والدينية (وحقوق غيرهم من الأقليات) داخل وطنهم، لا أن نطالب بتهجيرهم (أو خروجهم) كما يفعل المنحرون من الصهاينة وأعداء اليهود.

وثمة قضية أخرى تتجاوز اليهود والصهاينة والعادين لليهود؛ إذ إنها قضية معرفة ذات طابع نظرى، وهى علاقة الحقيقة بالحقائق. فحين كثيراً ما نقصّر أن الحقائق هى الحقيقة. ولذا فحين نحاول أن نكون «موضوعيين» فى رصد الحقائق، ولكن الحقائق التى أتى بها الصهاينة

كانت، كلها، حقائق موضوعية، وقائع ثابتة، حدثت تحت سمع
الناس وبصرهم.

فالمصداقية، في أغلب الأحوال، لا يختلفون لحقائق، وإنما
يجترثونها وحسب، ومن خلال اجتراثها ونزعها من سياقها يعرضون
عليه المعنى الذي يريدون. وحيث إنه من المستحيل أن يرصد الإنسان كل
الوقائع الخاصة بحدث ما، يصبح الاختيار مسألة حتمية. ويصبح أساس
اختيار الحقائق، لا الحقائق ذاته، هو ما يشكل مدى صدقها من زيفها،
فالصدق والكذب ليسا كامين في الحقائق الموضوعية ذاتها (هل هي
صادقة أم كاذبة؟)، وإنما في طريقة تناولها، وفي الفرار الخاص بما
يُضم، ويستبعد، منها. ومن هنا قول إن الحقائق شيء والحقيقة شيء
آخر (واحق شيء لث) فالحقائق شيء مادي صرف يوجد في الواقع
على هيئة تفاصيل متناثرة، أما الحقيقة فهي لا توجد في الواقع، وإنما
يقوم العقل بتجريدتها واستخلاصها بعمليات عقلية، حتى نصل إلى هذه
العكرة الكلية التي تتسم أكبر قدر ممكن من الحقائق المتناثرة (ما الحق،
هو ينتمي إلى عالم المثل والإيمان، وهو يشكل المنظور الأخلاقي المطلق
الذي يحاكم الإنسان منه كلاً من الحقائق المادية والحقيقة الفكرية
المقنية)

الفصل السابع

أزمة الصهيونية

ثمة سبيلان مهمان في الأوساط العربية معاده ان الصهيونية هي مشروع ناجح تمامًا، اسس الدولة وحقق كل ما يصبو إليه من أهداف وغايات، ولا يمكن إنكار ان في هذا القول شيئاً من الحقيقة، فانتصارات الدولة الصهيونية العسكرية ووجود أربعة ملايين مستوطن صهيوني في وسط العالم العربي هو إنجاز استعصى لا يهب فيه، ويعود هذا النجاح لعدة أسباب من بينها ما يلي:

١ - اكتشاف الصهاينة الإمبريالية الغربية بخصائصها الآلية الأساسية في القرن التاسع عشر لتعيد أي مشروع حرج أوروبا، فكل من كان لديه مشروع يرغب في تحقيقه ما كان عليه إلا ان يتبنى الحل الدارويني السحري وهو الحل الإمبريالي فالإمبرانيه الغربية كانت هي القوة العظمى التي كانت تقسم العالم وتصدر له كل المشاكل الغربية وكل فواتير التقدم العربية، وتبسط بمن يقف في طريقها فالسلع الكاسدة كانت تصدر من أسواق الشرق، والمواد الخام الرخيصة كان يتم لحصول عليها من أفريقيا وآسيا عن طريق تحويلها إلى اقتصاديات متخصصة مخصصة بالاقتصاد الغربي وتحويل شعوبها إلى

يد عامله رخيصة أما الفاشلون اجتماعيًا (انصوص المجرمون من لم يحققوا حراكًا اجتماعيًا داخل الاقتصاد الرأسمالي فكانوا يُصنّفون، تملأ مثل السلع الكاسدة، إلى مستعمرات في الشرق، خاصة الجيوب الاستيطانية وقد اكتشف هرتزل عيب المحاولات الصهيونية السابقة عليه، الرامية إلى تأسيس الوطن القومي اليهودي من خلال (الجهود اليهودية الذاتية) ولذا بدلاً من التوجه لأثرها اليهود مثل روتشيلد، انلويسر اليهودي، أو الحاخامات اليهود (بحسبهم القيادة التقيدية لجماعات اليهودية)، توجه مباشرة إلى الاستعمار الإنجليزي

٢ حرص لصهاينة قبل وبعد تأسيس الدولة أن يحتفظوا بدورهم كقوة عدة للاستعمار العربي، وكقوة أمامية له، تمافق عن اسمه ومصالحه. وقد ضمن لها هذا الوضع الدعم العربي، العسكري والسياسي والاقتصادي، بدائم

٣ الأيديولوجية الصهيونية أيديولوجية حديثة بمعنى الكلمة، داروينية حمى المقام، لا تؤمن إلا بقيم الصراع والبقاء المادي للأقوى وهي بالتالي أيديولوجية ذات جاذبية خاصة تلاقي هوى عدد إسن أوروبا الحديث، الذي يسعى لمزج والاتجاه ومع هذا، ورغم داروينيتها الواضحة نجحت الصهيونية في أن تخفي هذا الجوهر المادي الحديث من خلال ديباحات دينية قوية ذات طابع رومانسي جذاب وقد زاد هذا من مقدرتها لتمهيد ولكنة في ذات الوقت

كل من مصدر ضعف، مما أدى إلى أزمة الصهيونية (كما سنبين فيما بعد)

٤ الصهيونية أيديولوجية ذات مقدرة تعبوية عالية لأنها لجأت إلى صيغٍ مراوغة من الصعب كشفها إلا بعد عملية حثيثٍ تستغرق وقتًا طويلاً. فقد ادعت الصهيونية أن يهود شعب واحد وهو ادعاء ليس له ما يسانده في الواقع. ومع هذا طرح هذا الشعار، وكأنه حقيقة قائمة، وصدق الكثيرون بما في ذلك أعضاء الجماعات اليهودية كما أنها ادعت أنها حركة يهودية وليست استعمارية استيطانية إحلالية، وهو ادعاء وجد صدى لدى الكثيرين في عالم العربي، بين اليهود وغيرهم، فهذا الادعاء يبرر عمليات السفك ولبطش ويربح ضمير الإنسان العربي

٥ تظهر الصيغة المراوغة للصهيونية فيما سعيه (قضية الصهيونيين) في تصويرها لا توجد صهيونية وحدة وإنما صهيونيان صهيونية استيطانية وأخرى توطيية والصهيونية الاستيطانية (كما يدل اسمها) هي صهيونية اليهودي الذي يهاجر إلى فلسطين ويمتوطن فيها، أما لصهيوسى التوطيى فهو الذي لا يهاجر أبداً ويكتفى بتمويل عمية الاستيطان ودعمها والصهيونية الاستيطانية كانت دائما من شرى أوروبا أما التوطينية فتأتى أساساً من غربها (والولايات المتحدة وأحيانا وسط أوروبا)، وهذا التناقض حاد وضحى وقد سخر دماء صهيونية الاستيطانية من صهيونية التوطيية سعاه

«صهيونية الصالونات» ودائماً ما يحدث شغبك بين الفريقين داخل المؤسسات الصهيونية ومع هذا عرفت الصهيونية وعرف الصهاينة أن يعيشوا مع التسامح وأن يتقبلوا الصهيونيين وموخرًا كف الصهاينة من المطالبة بـ «نمى الدياسيورا» أى تصغيرها، كما كانوا يفعلون فى الماضى، كما كفوا عن المطالبة بـ «هرو الجماعات» أى توظيفها لصالح المستوطن الصهيونى وأصبح الحديث الآن عن - «الدياسيورا الالكترونية» و «الصهيونية التقنية» و «الصهيونية الاقتصادية» (ويهودية «هقرالشيكات») أى ان يساهم أعضاء الجماعات اليهودية بأموالهم ومعارفهم ونفوذهم فى دعم المستوطن الصهيونى، دون أن يستوطنوا فيه بالضرورة.

بنزور الأزمة

ولكن إلى جانب موطن «بقوة» توجد مواطن ضعف تذكر منها ما يلى

- ١ يمكن القول بأن كى «تكنولوجيا تطرح مثالية ما، ولكن المثالية لا بد أن تختلف عن الأكثوية، بمعنى أن الرؤية المثالية الحققة قد لا تكون موجودة فعلاً فى الواقع، ولكنها موجودة بالقوة، عناصرها هناك توجد أن تتحقق من خلال العمل الإنسانى (ويمكن أن يضرب مثلاً على ذلك بالرؤية القومية العربية، فهي تطرح فكرة الوحدة وأن العرب شعب واحد، وهى ولا شك رؤية مثالية، فـ «عرب مقسمون» ولكن الرؤية المثالية لها جذورها القومية فى الواقع تلكه الواحدة

الناكرة التاريخية الواحدة - الامتداد الجغرافي لتصل - التكامل
الاقتصادي الممكن)

أما الصهيونية فهي تستند إلى أدوية (أرض بلا شعب للشعب
بلا أرض) تفصلها هوة حقيقة واسعة عن الواقع، حتى يمكن القول
بأن الأيديولوجية الصهيونية عبارة عن ديهاجه قوية لم تسبع من
واقع أعضاء الجماعات اليهودية في العالم ولا من واقع الفلسطينيين
في بلادهم، وبما رؤية وُست على صفحات كتب مفكرين لم يدرسوا
الواقع بما فيه الكفاية ولم يعرفوا إلا أقل القليل من يهود العالم وعن
فلسطين

٢ لكن هذا يجد أن الفكر الصهيوني فكر اختراق يتجاهل معطيات
الواقع سواء كان الأمر يتعلق بواقع أعضاء الجماعات اليهودية في
العالم أم واقع الفلسطينيين العرب ويتضح هذه الاختزالية في إنكار
لتاريخ والتفكير في وضع نهاية له تواريخ أعضاء الجماعات
اليهودية والتاريخ العربي في فلسطين، كما يتضح في إنكار
الجغرافيا فلسطين تصبح إسرائيل، وهي بلد لا حدود لها، إلا أن
حدودها داخل مفهوم إسرائيل بحدودها.

٣ لكن هذا يجد أن العقيدة الصهيونية أيديولوجية فاشية، سبق
عضوى على يخالع انقباسة على الأرض (أرض اليماد) والشعب
(الشعب المختار) وينكر الآخر (بصراع مع الاعيار والعقنية
الحيثوية) ومثل هذه الأيديولوجيات تُكسب حاملها قوة ومناعة

وصلاية، ولكنها في الوقت نفسه تتسم بالجمود والانغلاق ومن ثم فكثير من التناقضات الكامنة داخل الأيديولوجية أو هي وأعمالها حينما تنبئ في الواقع، تظهر بشكل عتيق إن لم يكن فجائياً

٤ - تستند الأيديولوجية الصهيونية إلى فكرة اليهودية وإلى تعريف عضوي ضيق لها، ولذا فإن أية تحديات بهذه لفكرة تصعب شرحاً عميقاً في المجتمع

إن عناصر الأزمة كانت في الأيديولوجية الصهيونية، وقد اردات تعاقماً حين بدأ تطبيقها على الواقع ويمكن نقول إن أزمة الصهيونية إن هي إلا نتيجة مباشرة بلا دعاءات الأيديولوجية الصهيونية المبدئية

وقد أدت الأزمة إلى انعطاف العقد الاجتماعي الصهيوني أو على الأقل تأكله فقد كان هناك اتفاق على المقولات الأساسية، مثل أن يهود شعب واحد (يضم الدينيين والإشكناز والمفارد وغيرهم)، وهو شعب يطمح للعودة إلى أرضه للاستيطان فيها، وأن الصهيونية ستنتهي حالة التمس وسنقوم بتطبيع اليهود لقد فشلت الصهيونية في كل هذا، فاليهودي (هذا المكون الأساسي لهذا الشعب اليهودي) لم يعرّف بطريقة ترضى كل الأطراف، وهو شعب يرفض العودة بوطبه «القومي» ، الأمر الذي يخلق أزمة سكانية مستحطية ولهدد، ثم يحد هناك اتفاق على المكونات الأساسية للصهيونية وأهدافها المبدئية، فالزوية ليس لها ما يساندها في الواقع، ولواقع صعب لا يود أن يخضع للرؤية

وهو ترجم نفسه هذا التآكل نفسه إلى عدم اكتراث بالمشروع الصهيوني سدى
ترجم نفسه بدوره إلى عدم الإيمان بالقيم الصهيونية (إريادية) الحقيقة عسى
التقصيف وتآجيل الإشباع. وبدلاً من ذلك، ظهر السعار الاستهلاكي
والقروع نحو الأمركة والموتة والخصخصة، وهي حالة لا تصيب الصهاينة
وحدهم وإنما تصيب أي مجتمع يقتصر إلى الاتجاه وإلى المشروع حضاري
ولا يحل مشكلة امسى ولكن رغم كل هذا التآكل يظل هناك إجماع
صهيوني لم يتآكل وهو رفض الاعتراف بالمليطيين وحققهم في هذه
الأرض التي تم غتصابها

ويجب أن تؤكد على أنه يوسع المجتمعات الإنسانية أن تعيش في
حالة أزمة مستمرة بعشرات لسين دون أن (تسهار من الداخل)، إن لم
تُوجه لها ضربة من الخارج والتجمع الصهيوني ليس استثناءً من هذه
القاعدة، وخصوصاً أن كميات المساعدات التي تصب فيه من الولايات
المتحدة يزيد عن ثمانية بلايين دولار لمجموع عدد السكاني الذي يبلغ
هدهم حوى أربعة ملايين، الأمر الذي يجعل التجمع الإسرائيلي
(الاستيطاني الوظيفي) من أكثر المجتمعات تلغّب للمساعدات الخارجية
بأنسبة لعدد السكان والتجمع الصهيوني لا يحوى مكونات بقائه
واستمراره داخله، فهو يستمدّها من دولة عظمى تكفله وترعاه.

ويمكننا القول بأن عناصر الأزمة الصهيونية متشابكة تماماً، فمشكلة
الهوية مرتبطة بالأزمة السكانية (الديموجرافية) وكلاهما مرتبطتان بأزمة
الهجرة والاستيطان وبقضية تطبيع الشخصية اليهودية ومع هذا سنعرّفهن

لهذه العصور كما لو كانت منعصمة الواحدة عن الأخرى، ولكن عميقة
الفصل هذه هي ضرورة تحليلية وحسب

لزمة الهوية

١ هوية المستوطنين

حينما أسمت الدولة الصهيونية كل الجميع يظن - حسب لتعريف
الصهيوني - أن ثمة تاريخاً يهودياً واحداً وهوية يهودية واحدة ولكن
حينما توافر أعضاء الجماعات اليهودية إلى فلسطين المحتلة اكتشفوا
ما أشرنا إليه في بداية هذه الدراسة وهو أن العناصر غير المشتركة بينهم
أهم بكثير من عناصر المشتركة فانتعشت لدولة على أساس عرقي إلى
بعض ومزود، وعلى أساس إثني إلى سفرد وأشكناز، وعلى أساس ديني
إلى علمانيين ودينيين وانقسم الدينيون بدورهم إلى أرثوذكس من جهة
ومحافظين ومصلحيين من جهة أخرى. وقد فشلت الدولة الصهيونية
حتى الآن في تعريف اليهودي وهو فشل له أهمية خاصة في السياق
الصهيومي باعتبار أن إسرائيل تدعى أنها دولة يهودية أو دولة اليهود

٢ إشكالية الشخصية اليهودية

كانت لصهيونية تروم أنها ستشفي اليهود من أمراض
(الهامشية - عدم الاشتغال بالوظائف الإنتاجية - الاشتغال بالمضاريب -
عدم الانتماء) بنقلهم إلى فلسطين حيث سيقوم اليهودي بتخليص الأرض
الفلسطينية من أيدي العرب بها أن يستولى عليها ويقوم بزرعها بنصبه

وبالعمل في الوظائف الإنتاجية المختلفة، وهو بذلك يخلص الأرض ويضفي نكهة من أمر من انتهى في الوقت نفسه ولكن بعد ما يزيد عن مائة عام من الاستيطان الصهيوني وبعد أكثر من ربعين عامًا من تأسيس الدولة الصهيونية يلاحظ أن الإسرائيليين لا يزالون يعانون أمراض الدياسفورا (الغنى)، فهم يمشقون التجارة والصناعات في النورصة، كما أنهم انسحبوا من القطاعات الاقتصادية الإنتاجية مثل البناء (الذي يشتمل العرب الآن) ويلاحظ أن المجتمع الإسرائيلي مجتمع يضرب انحدار في أطرافه (المحدرات الإباحية) ويدرك الإسرائيليون تمامًا أن دولتهم دولة وهمية تعيش على الدعم الأمني والمالي الأمريكي السخي المستمر، وأهم بذلك لا يختلفون كثيرًا عن يهود الجيتو الذين كانوا يعملون لصالح الملك أو الخبة الحاكمة نظير ما يعفونه من أرباح ونظير الحماية التي يرودهم بها رعيهم فكان لدولة انوطيعيه هي ذاتها مصابة بأمراض الغنى من طوعية وهامشية

وتسود إسرائيل عقلية استهلاكية عقلية «روش قطان» أي الرأس الصغير، وهي تشير إلى الإنسان ذي الرأس الصغير والمعدة الكبيرة وقد تصاعدت حدة هذا الاتجاه بعد موجة الهجرة السوفيتية الأخيرة فقد أتت بالعديد من المهاجرين الصهاينة المرتزقة، الذين ليس بهم أي انتماء أيديولوجي وغير ملتزمين إلا برفع مستويات المعيشة، وقد أصبح هؤلاء عدة ممثلين في الكنيسة وممثلين في الوزارة الإسرائيلية، ولا يمكن لكثير

من الوزارات أن تستمر في السلطة دون دعمهم وموافقتهم ، وينعكس موقف المرتزقة هذا على جاسين معينين من جواسيس الحياة في إسرائيل - الاستيطان والخدمة العسكرية

٣ هوية الدولة اليهودية - منظور توطيضي:

يطرح أعضاء الجماعات اليهودية في العالم الكثير من الأسئلة بشأن هوية الدولة اليهودية، ومدى عمق - أو حتى حقيقة - انتعاشها لليهودية، سواء بلسان الديمي أم الإنثي، فالتدينون يتساءلون كيف يمكن أن تصنف الدولة الصهيونية على أنها دولة يهودية وهي من أكثر الدول إباحية في العالم ولا يقم سكانها الشعائر الدينية اليهودية؟ ويتساءل اليهود المهتمون بآيديتاتهم وورثتهم اليهودي السؤال نفسه كيف يمكن أن نسمي الصهيونية التي تتزايد لها معدلات الأمركة والعولمة بخطى متسارعة دولة يهودية؟ بدلاً من أن تكون صهيون الجديدة أصبحت (ماك إسرائيل) الجديدة (نسبة إلى ماك دونالد). ويتساءل اليهود من نوى الاتجاهات الثورية - هل يمكن أن نسمي دولة تقوم بالتجسس لحساب الولايات المتحدة وتزويد النظم الفاشية في أمريكا اللاتينية بالأسلحة وكانت تتعاون مع نظام الأبلوتهايد (الفرقة النونية) في جنوب أفريقيا وحاولت قمع الانتفاضة يكن أنواع الإرهاب المتلحة، ولا تزال تذكر على الفلسطينيين حق تقرير المصير وتقتصر أرضهم، كيف يمكن أن نسمي مثل هذه الدولة (يهودية)؟

٤ هوية الدولة اليهودية منظور استيطاني -

وقد طرح القضية نفسها باحل إسرائيل وتكن على مستوى آخر وبشكل مختلف. هي المعروف أن الاستعمار الصهيوني قد مر بثلاث مراحل. المرحلة الأولى هي مرحلة الإحلال، التي وصلت إلى ذروتها عام ١٩٤٨ مع إعلان الدولة وطرد الفلسطينيين ووصول آلاف المهاجرين للاستيطان في أرض فلسطين. وهنا بدأت المرحلة الثانية، مرحلة الدولة الصهيونية «اليهودية الخالصة» ، ثم انتهت هذه المرحلة عام ١٩٦٧، وبدأت المرحلة الثالثة حين قامت إسرائيل بضم الضفة الغربية والقطاع، وهي مناطق مأهولة بالسكان العرب الذين لم يتمكن الاستعمار الصهيوني من طردهم فتحول الاستعمار الاستيطاني الإحلالي (عسى طريقة امريك) اللبنانية حيث يُعاد السكان الأصليين أو يُطردون إلى استعمار استيطاني مبني على التفريق اللوني (على طريقة جنوب أفريقيا حيث يتم الاحتفاظ بالأرض ومن عليها من سكان يتم تحويلهم إلى مصدر للعمالة الرخيصة) وقد اتاح لنظام العالمي الجديد فرصاً جديدة للنظام الاستيطاني الصهيوني بحيث أصبح بوسعه أن يتجاوز نطاق فلسطين المحتلة ليتغلغل في البلاد العربية وليحول سوق العربية إلى سوق شرق أوسطية يلعب هو فيها دور الوسيط الأساسي بين العرب والعرب، بل وبين كل دولة عربية وأخرى، ويصبح هو الصلة التي تبرز من خلالها رؤوس الأموال الخارجية على المنطقة، والهدف النهائي هو أن يقوم بتجميع الصهيوني بتحديد شكل المنطقة وإدارتها بما يتناسب مع مصلحته وفلصاح الغربية

وتكمن المفارقة الكبرى في أن توسع الجيوب الاستيطانية يتطلب مزيد من المستوطنين، أي المادة البشرية المطلوبة للاستيطان والقدس حتى يمكنه من الاحتلاع يوظيفه، نتي تشكل أساس كيانه ولكن المصادر البشرية للهجرة اليهودية قد جفت إلى حد كبير (بسبب تناقص أعداد اليهود في العالم لانخفاض نسبة الخصوبة بينهم وقد أفرغت بهجرة اليهودية السوفيتية الأخيرة المصدر الأخير للمادة البشرية الاستيطانية في شرق أوروبا، يهود الولايات المتحدة وغرب أوروبا هم صهاينة توطئتيون ويهاجرون دائف من أجل المستوطن الصهيوني ولا يهاجرون إليه قط). وتشاهد الدولة الصهيونية عدداً كبيراً من المرحلين، أي المستوطنين الصهاينة ممن يهاجرون من فلسطين المحتلة إلى لولايات المتحدة أو إلى أي بلد آخر، ومما يقاوم الأزمة تزايد السكان العرب

كل هذا يجعل التوسع الاستيطاني والاقتصادى أمراً عسيراً، وقد ظهر في إسرائيل صراع بين ما يسمى (الصهيونية الديموقراطية أو السكانية) و (صهيونية لأراضى). والاتجاه الاول لديموكرسي يرى أن الاحتفاظ بالأراضي المأهولة بالسكان العرب ليس من الحكمة في شيء، فهم بتكاليفهم سيفوقون الصهاينة عدداً ويهددون بطابع «يهودي» للدولة الصهيونية، بل ويرى هؤلاء أن تريد عدد لعرب يهدد الديموقراطية الإسرائيلية فانها، إذ من الصعب على دولة ديموقراطية أن تضم أقلية كبيرة (قد تصبح أغلبية) وتشكر عليها حق الاشتراك في صنع القرار ولذا يطالب دعاة هذا لاتجاه بتقسيم المناطق المأهولة للعرب (كما حدث مع

قطاع غزة) والاحتفاظ بالنقط الإستراتيجية لضمان الأمن لإسرائيلى الأمر الذى سيوفر لإسرائيلى الجو انلائم لتطوير اقتصادها بطريقة تسمح لها بتجديد منطقة الشرق الأوسط، ثم الاتجاه الثانى (صهيونية الاراضى) فيذهب إلى أنه لا يمكن الانسحاب من أى من الاراضى التى احتلتها الصهاينة (فهى أرض الميعاد المقدسة) و به يمكن الاحتفاظ بها وبمن عليها من سكان دون التخلي بالضرورة عن الطابع اليهودى للدولة (فالبيع المستمر للعرب سيضمن هدوءهم وهدوء المناطق كما تسمى الاراضى المحتلة فى الخطاب الصهيونى). ومن هنا ملاحظته أن الاتجاه الأول يوصف بأنه (معتدل) بينما يوصف الثانى بأنه (متطرف) وحقيقة الأمر أنه لا يوجد فارق جوهري بينهما، فكلاهما يصدر عن الإجماع الصهيونى، ولا يختلفان إلا فيما يتعلق بطريقة التطبيق وطاق التوسع، وتترى الولايات المتحدة (رائدة النظام العالمى الجديد) أن مدرسة لصهيونية السكانية هى الأقرب لأهدافها، فالنظام العالمى الجديد يفضل عدم المواجهة المباشرة مع الشعوب الممثلة، وصهيونية الاراضى تؤدي إلى مثل هذه المواجهة.

تصاعد معدلات التوجه نحو اللفة

نظراً للتوجه نحو اللفة فى التجمع الصهيونى نجد أن كثيراً من المفاهيم الصهيونية قد تآكل وتراجع كما يتضح فى الموقف من الاستيطان ومن الخدمة العسكرية

١ تساقط المفهوم القديم للاستيطان

«المفهوم القديم للمستوطن الصهيوني باعتباره رائداً يملك المحراث بيد واليدقية بالأخرى قد تآكل، وظهر نوع جديد من المستوطنين اندمج يبحثون عن احراك الاجتماعى، وعن رفع مستوى معيشتهم، ولذا يلاحظ أن استوطنات الجديده فى الضفة العربية مختلفة عن استوطنات القديمة، فلا يوجد فيها اى مظهر من مظاهر التلصص، وإنما توجد فيها مسارل فاخرة وحمامات سباحه وكل أشكال الرفاهية، والدهوة إل الاستيطان فيها لا تأخذ شكل شعيرات دينية أو حتى شبه دينية ولا أيديولوجية (أو حتى شبه أيديولوجية) وإنما هى دعوة ساهرة للاستهلاك، فبعد الإعلانات عن أماكن للسكنى فى إحدى استوطنات فى الضفة الغربية يتحدث من فيلا وسعه، فى موقع جميل، بهدف ثمن الميلا المائلة داخل حدود عام ١٩٦٧ ولكنهم مع هذا تقع على بُعد ثلاثين دقيقة من وسط القدس وتقايب وتل أبيب؛ أى انه أوكاريون واستيطان فى نفس الوقت، أو استيطان بدتقسيم المريح

وهذه بيوت الاستيطانية لغرض لا يقوم المستوطنون بحراستها إذ يتولى جيش الإسرائيلى هذه المهمة بالنهاية عنهم، ولذا بدلاً من أن تكون استوطنات هى المواقع العسكرية الأمنية للحيش الاستيطانى الصهيونى أصبحت تشكل عبئاً عسكرياً عليه. وبدا بعد اطلاقاً على هذا النوع من الاستوطن (الاستيطان مكيف الهواء) وهو يعكس واقع الحياة فى إسرائيل أكثر من «شعيرات الصهيونية لكاذبة» سى تطلقها أيواق الصهيونية (ولتى يصرفها بعض العرب)

ومما فاقم الوضع وصول ما يقرب من مليون من لاتعداد السوفييتي ليس لديهم انتماء يهودي (ديني، و إثني) ولا حتى انتماء أيديولوجي صهيوني، هؤلاء قد هجرو لأسباب نفعية واضحة ولذا نحتسبنا مصطلح «الصهيونية النفعية» أو صهيونية المرتزقة لنصف دوافعهم ولو سنحت لهم الفرصة للهجرة إلى الولايات المتحدة للمساواة، وقد كنّ هؤلاء حرباً سياسياً ممثلاً في الوردة الإسرائيلية، وبرنامجهم السياسي مكرس تماماً لخدمة المهاجرين السوفييت دون أية توجهات أيديولوجية

٢ الخدمة العسكرية.

التجمع الصهيوني، كما يؤكد تماماً تجمع استيطاني، وهو - شأنه شأنه كل بتجمعات الاستيطانية - تجمع عسكرية، إذ أن عليه أن يجمع دائماً، وبشكل مستمر، السكان الأصليين، ورفضهم للظلم الواقع عليهم، ومن ثم تكون الخدمة العسكرية أهم أعمال المواطنة، وكما في أحد الشعراء الإسرائيليين (إن كل الشعوب بها جيش ما عدا إسرائيليين في الجيش له شعب)

ولكن لوحظ في الآونة الأخيرة أن المستوطنين لصهاينة قد بدأوا ينصرفون عن الخدمة العسكرية بأعداد متزايدة، هناك ظاهرة الصرار من الخدمة العسكرية التي لم تكن معروفة من قبل، وفي إحدى استطلاعات الرأي صرح ثلث الشباب الإسرائيليين أنه إن أتيحت لهم الفرصة أن يتحاووا بخدمة العسكرية الإجبارية (التي تستغرق ثلاث سنوات) لقلوا ذلك، ويعتمد الجيش الإسرائيلي على نظام الاحتياط فيقوم باستدعاء

جنود لاحتياط (الدين بنح عندهم عام ١٩٩٦ حوالى ٤٢٩,٠٠٠) مرة كل عام لمدة سنة أسبوع لإعادة تدريبهم، وقد لوحظ ان حوالى الثلث يتعيبون. وفي أثناء الصيام الذى وقع بين الجيش الإسرائيلى وسكان نابلس فى سبتمبر ١٩٩٦ استدعت إحدى فرق الاحتياط لجنود التابعين لها والبالغ عددهم ٣٤٠، فلم يحضر سوى ٦٠، ولم يبق منهم سوى ثلاثين. وقد رفض أحدهم بذهب للفصل القريب، والأهم من هذا كله أن هناك قبولاً جنائياً لهذا الموقف، وهو أمر جديد كل الجدة فى النجم الصهيونى الذى كانت الخدمة العسكرية فيه (حتى نهاية الستينيات) تُعد الشرف الأكبر الذى يمكن للمواطن/المستوطن الحصول عليه

وبعود ظاهرة الانصراف عن الخدمة العسكرية لعدة عوامل من أهمها التوجه نحو السه وضمور الدافع الأيديولوجى الصهيونى عند المستوطنين. ولكن مما عمق الانحياز نحو بقرار من الخدمة العسكرية إحساس الإسرائيليين بما ساء لوضع الإسرائيلى يعقوب تالون (عقم الانتصان) أى أن إسرائيل حققت انتصارات عسكرية كثيرة فى الأعوام (٤٨ - ٥٦) ولكنها لم تنجح فى إنهاء حالة الحرب الشكة، وقد تبع هذا مجموعه من الضربات حرب الاستنزاف حرب عام ١٩٧٣ الهزيمة فى لبنان (المستنقع اللبنانى، كما يسمونه)، ثم جاءت الانتفاضة المجيدة عام ١٩٨٧، وعمليات حرب الله فى الجنوب اللبنانى (وبما لا شك فيه أن انتفاضة الأقصى ستعقد من هذا الانحياز فى صفوف انجفود والمجندين الإسرائيليين). ولعل أكبر شاهد على تراجع النزعة القتالية فى

التجمع الصهيوني وتساعد معدلات النجاة نحو الندة هو الصمد الشعبي
لمستمر على حكم إسرائيل أن يمسحوا من لبنان بعد مقتل عدد من
لجسود في أثناء الحرب ضد المقاومة اللبنانية، إلى أن انتهى الأمر
بالجيش الإسرائيلي سى كان يدعى أنه لا يقهر، بالانسحاب المدل في
جنح الظلام.

اهتزاز مقولة (الوضع الراهن)

تستخدم عبارة (الوضع الراهن) للإشارة إلى الأمر الواقع الديني بين
استوطعين الصهاينة إبان حكم الانتداب فعلى سبيل المثال، تتوقف
اتصالات العامة يوم السبت، ولكن يمكن استخدام المهارات الخاصة أو
التاكسات، وتُغلق الشوارع في الأحياء التي تقطنها أغلبية منديمة وتُترك
مفوحة في لأحياء الأخرى. أما أسور «سراج» والطلاق فيسيطر عليها
المتديعون (وهو استعمار لنظام الملة العثمانى ولدى أُنقت عليه سلطات
الانتداب) وقد تم الاعتراف بالنعلم لدينى المستقل، وهو ما يعنى أن
اندولة عليها أن تعوله (وقد أصبح فيها بعد هو الععود للقرى لتطور
الطرف لصهيونى، نى نديجات الديمة) ولا تُعرض أفلام سينمائية
ابتداءً من يوم الجمعة مساءً، وإن كان يُصرح بلعب كرة القدم يوم السبت
(على أن صباح سناكر فى اليوم السابق) وقد أرسل بن جوريون عام
١٩٤٧ (باعتباره رئيس الوكالة اليهودية) خطاباً إلى رعاء أجودات
إسرائيل وعد فيه بالحفاظ على وضع الراهن وعد تم أيضاً إعفاء طلبة
المعهد الدينى من الخدمة العسكرية

والمقد الاجتماعي الصهيوني يستند إلى قبول (الوضع الراهن) باعتباره الإطار المرجعي لكل العناصر التي تعين مشروع الصهيوني والتماسه العمى يمكن أن يصرّف إلى تفاصيل والمروع ولكنه غير قادر على حل المشاكل الميدانية، ولذا فالمقد الاجتماعي الذي يستند إليه المجتمع على يد صهيونية غير يهود لا يكثرثون باليهود ويظهرون إليهم من الخارج باعتبارهم مادة استيعابه ثم انضم إليهم صهيونية يهود غير يهود (بمعنى أنهم لا يتمسكون بالشعائر الدينية ويحلون النخلص من أية خصوصية إثنية يهودية، حقيقته كانت أم وهمية) يشركونهم عدم الاكتراث هذا ثم ظهر دعاة نسيونية الإثنية العلمانية الذين هؤدوا الصهيونية العالمية عن طريق إدخال مصطلحات الحوليه اليهودية معقوبة عليها ثم كان هذا الجيب الصغير من صهيونية الإثنيين الدينيين، وقد افترض هؤلاء منذ البداية أن الدين هو بقومية وأن اقومية هي الدين

وقد تعيش التيارات جذباً إلى جنب لتسير بحلول الديني (اقومية كديني وديني كقومية)، ولتسير بحلول العلماني (العمومية كديني)، وتقبلا سياسة الوضع الراهن، وكان من الممكن أن يستمر التيارات في التعيش إلى ما لا نهاية، فخطاب الصهيوني لروح كان كهيلاً بذات ولكن قبول الوضع الراهن كان مجرد تهاهم عمى، ولم يكن مبدئي بأي شكل من الأشكال تتحكم فيه توازنات القوى بين العربيين «ديني والعلماني واللايديني

وقد ظل الوضع الراهن قائماً لمدة سموات طويصة، ودخلت الأحزاب الدينية كل الائتلافات الوريه التي حكمت إسرائيل، وقنعت بدور

التابع مدى يقع بقطعة من الكعكة ولكن مع تزايد علمية المجتمع الصهيوني وعلمنة يهود العالم وتزايد الخطاب الديني وزيادة عدد الصهاينة من دعاة الديباجات الدينية وظهور مشكلة «جراثيم اليهود» ردت حدة الاستقطاب في المجتمع الصهيوني بين الدينيين والمعلمانيين

ومن الأمثلة على ذلك الموقف من طلبية المعاهد الدينية، فعند إعلان الدولة، وحين تم إعفائهم من الخدمة العسكرية، كان عددهم لا يتجاوز ٤٠٠، ولكن عام ١٩٩٧ كان عددهم يزيد عن ٢٩,٠٠٠ وهذه الأنوف لا تعمل، فهم طلبة وحصب، أي أن نسبة كبيرة من المستوطنين أصحاب اندبيجات دينية يعيشون على نفقة دافع بقرايب الإسرائيليين ولدا اشار لهم أحد كبار المعلمانيين في إسرائيل بأنهم «طميلهون»، وهي كلمة لها مدلول خاص في المعجم الإسرائيلي، إذ كان يستخدمها أعداء اليهود للإشارة بهم. وقد قال شيمون بيريز حين هُرم في الانتخابات «لقد هُرم اليهود الإسرائيليين»، كما لو كان هناك فريقان متصارعان في إسرائيل «يهود متديحون» ضد «إسرائيليين غمصبين»، والفريق الأخير ليس «يهودياً»

واحتكار مؤسسة انديكية لمصنعات الزواج والدفن يشير جميعه المعلمانيين. فانهجرون ليهود السوفيت (وعدد كبير منهم «غير يهود» حسب التعريف الأرثوذكسي) لا يمكنهم أن يتزوجوا في إسرائيل أو يدفعوا حسب الشريعة اليهودية فيها وقد خرج جثمان أحدهم بعد خمسة أعوام من دفنه حين شكت المؤسسة «بحالفيه» في يهوديته

كما أن أحد المستوطنين من أصل سوفيسى نقي حقيقه بعد إحدى الهجمات الاستشهادية الفلسطينية ومع هذا، لم يتم دعتة في مقبرة يهودية

كل هذا أدى إلى أن حوالي نصف الإسرئيليين يرى أن إسوقف المنارم بين علمانيين وبنديين سيؤدي إلى تشوب حرب أهليه (وقد تكون هذه مبالغة ولكنها «بالغة دالة» ، إن صح التعبير) ، وقد قال الحاخام حاييم ميلر إن لحن هو الفصل بين الفريقين معاً للأشياء بينهما

ومما فاقم من حدة التناقض ظهور ما يُسمى «الأصولية اليهودية» وتستخدم هذه العبارة في الخطاب السياسى العربى والغربى للإشارة إلى شكل من أشكال تطرف الدينى عادةً «الأرثوذكسى» (وتُترجم كلمة «أصول» أحياناً إلى كلمة «متزمت» أو «متشدد» أو «متطرف» مما يعنى ترادف كل هذه المصطلحات مع لفظ «أرثوذكسى» وهذا خلل باجم عن تطبيق مصطلح دينى ، تم قتراضه من نسق دينى ما ثم تطبيقه على نسق آخر

ويرى مستخدمو هذا المصطلح أن هذه الأصولية تعود إلى الحاخام أبراهام كوك (الذى كان يشغل منصب الحاخام الإشتكندى فى فلسطين) وابنه مستمرة حتى هذه الأيام (على يد ابنه الحاخام تسفى كوك وشيروه) ، بن إيه آخدة فى التناخى فقد بلغ عدد أعضاء الكنيسيت «الأصوليين» عام ١٩٩٩ ، أى معشى الأحزاب الدينيه (المقدس وديجيل هاتوراه وشاش) ٢٣ عضواً (مقابل ١٦ عضواً فى كنيسيت السابق) من مجموع ١٢٠ عضواً وتعد هذه أكبر نسبة فى تاريخ إسرائيل السياسى

وهذا التيار الدينى أصبح بمقدوره التحكم فى رئاسة الحكومة وإسقاط الحكومات ولا يمكن تشكيل أية حكومة دون مشاورته (رغم أن أعضاء هذا التيار قسراً معنيين بالسياسة بمعنى الضيق للكلمة فهم يهتمون بمصالحهم بالدرجة الأولى) وهم يستأثرون بوزارات المستقبل (التعليم الإسكان الأراضى المهاجرون لأديان) ويتحكمون فى وزارة حيوية مثل وزارة التعليم، ويقان بهم أصبح لهم يعود كبير داخل للجيش فهناك حاشية عسكرية تقوى مهمة التوجيه الفكرى والدينى داخل القوات المسلحة، وهى تباشر كل شئون الأحوال الشخصية تتعلق به العسكريين، وتشرف على المدارس العسكرية الدينية، وتخرج أجيالاً مسكونة بالكراهية المصقة للعرب، كما تقوى الحظمية إصدار الفتاوى التى نصفى القداسة على لممارسات والجرائم التى يرتكبها الجنود ضد العرب وقد أوصل هذا التغلغل داخل الجيش عددٌ غير قليل من الضباط الأرثوذكس إلى مراتب عليا

وفى استطلاع أجريه صحيفة يديعوت أحروسوت فى ٤٧٪ من الإسرائيليين أنهم ينوقمون حدوث حرب أهلية بين المتدينين والعلمانيين اليهود (وقد تكون هذه مبالغة، ولكنها هى أيضاً «مبالغة دالة») ودعاة الأصولية اليهودية يقولون لأن يمتكئ الحزم وشراسة ضد أى أصحاب من الضفة والجولان ويؤيدون طرد العرب، وهم مستعدون للتدهاب فى سبيل الدفاع عن موقعهم هنا إلى أبعد مدى ولا تنس أنهم يعتبرون صروح جولدنشتاين منعزلة مجسدة الحرم الإبراهيمى قديماً ومثالاً أعلى يجب الاحتذاء به

والأطروحات الأساسية لهذه «الأصولية» حسب تصور من
يستخدمون هذا المصطلح - كما يلي

١ - إنشاء دولة إسرائيل هو تجسيد للحلم التوراتي اليهودي القديم، رغم
أن الحركة الصهيونية نفسها، المؤسسة للكثير من الصهيونيين، لم تكن
حركة دينية، وإنما كانت أيديولوجية سياسية علمانية، ورغم أن
الآباء المؤسسين (الحرس القديم) مثل بن جوريون وإيجال آلون،
كانوا ملحدين في حياتهم، علمانيين في طرق تفكيرهم. ويمضي
كوث هذه الظاهرة (وعند ديبى يتحقق على يد علمانيين)
«الانشطارية» ولذا، بينما يرفض الأصوليون هذا تطبيع العلماني
للدولة، فإنهم يتبنون بفكرة الدولة اليهودية نفسها (على عكس
ماطوري كارتا التي ترفض فكرة لدولة من أساسها)

٢ - لا يمكن الثقة في الأفيور، بأي شكل، وأرض إسرائيل الكبرى هي
أرض يهودية، ولابد للدولة اليهودية أن تعتمد على نفسها وحسب.
(رغم كل امساعات لخارجية نفي تصب فيها) ولذا لا يفهم
أعضاء هذا اليمين ديبى التزامات لدولة حق لفهم. وهم يتصورون
أنه لا يمكن عقد سلام مع العرب، بل يجب طردهم أو تهجيرهم.
ولذا نجد أن الأغلبية ساحقة هؤلاء لسبوتنيين من أصحاب
الديماغات الدينية يقفون ضد أي تنازل عن «الأرض اليهودية»

وهذه المقولات ليست بالضرورة مقولات دينية ويمكن لأي حزب
عسائي أن يتبنها ويأمل مجد أن يمين يضم في صفوفه متدينين

قوميين وعلمانيين لا دينيين فهو يضم أحزاباً دينية مثل حزب القدس
وشاس وديجيل هاتورا، ولكنه يضم أيضاً أحزاب مولدت وإسرائيل
بعاليه وتسوميت وحزب إسرائيل بعاليه هو حزب «صهيونية المرتقة»،
أي المهاجرين السوفييت الرغبين في تحسين مستوياتهم المعيشية،
أما حزب تسوميت، فهو حزب صهيوني لا ديني. ولا يمكن الحديث عن
تتياغو أو عن جيله بأسره، باعتباره متديناً

التكاثر المفرط للمصطلحات الصهيونية

من مظاهر الأزمة الصهيونية «التكاثر المفرط للمصطلحات الصهيونية»
وهذا التكاثر المفرط هو سمة أساسية للفكر الصهيوني منذ ظهوره فهناك
«الصهيونية دبلوماسية» و «الصهيونية السياسية» و «الصهيونية
العامة» و «الصهيونية المعاصرة» و «الصهيونية الاشتراكية» و «الصهيونية
الدينية» و «الصهيونية العلمانية» و «الصهيونية الثقافية» و «الصهيونية
الروحية» و «الصهيونية التصحيحية» و «الصهيونية بتوفيقية»
و «الصهيونية الإقليمية» و «صهيونية بدون صهيون» و «صهيونية
صهيون» و «الصهيونية المسيحية» و «صهيونية لأغيار» وغيرها من
المصطلحات

وقد استمرت الظاهرة بعد إنشاء دولة وإن كان إسهاب المصطلحات قد
عبر عن نفسه من خلال أسماء الأحزاب التي تتغير بمعدل خمسين عند
كل انتخابات وما بينها وإذا كان التكاثر المفرط للمصطلحات سمة
أساسية للخطاب الصهيوني قبل عام ١٩٦٧ فإن الأمور ازدادت سوءاً

بسبب تصاعد الأزمة، فهناك لازمة البسيطة للصهيونية وتوتر العلاقة بين المستوطن الصهيوني ويهود العالم. ولأن الأزمة لا حل لها والتوتر يتصاعد فإن الحلول المطروحة هي الأخرى تتزايد بشكل مفرط، ومن ثم تتكاثر المصطلحات وتتداخل فتضطرب

وبعض التيارات الصهيونية الجديدة توصف بأنها «معتدلة» (صهيونية الحظ الأخضر صهيونية الحد الأدنى صهيونية الديموقراطية)، ويوصف البعض الآخر بأنه «منطوق» (صهيونية الأراضي صهيونية الحد الأقصى الصهيونية لتوحدة) وحقيقة الأمر كما أسلفنا أنه لا يوجد فارق جوهري بينهما، فكلاهما يصدر عن الإجماع الصهيوني ولا يختلفان إلا فيما يتعلق بطريقة التطبيق وبطاق التوسع

ويظهر الحظ في المصطلح أيضًا في إدراك حركة لصهيونية أن «الشعب اليهودي» يؤثر المقي على «الوطن القومي» و به يحجم من الهجرة إليه ولكنها مع هذا ترفض الاعتراف بالأمر الواقع ومن يريد الأمور اختلاطًا أن هؤلاء الذين يرفضون الهجرة يسمون أنفسهم «صهاينة» لأسباب نفسية محضة لا علاقة لها بواقعهم أو سلوكهم. وقد طالب بن جوريون بعدم تسميتهم «صهاينة»، فالصهيونية كما قبل هي لهجرة والاستيطان (ومن وجهة نظري، الاستيلاء على الأرض وطرد سكانها والقبائل من أجلها)، فطالب بسميتهم «أصدقاء صهيون» وحسب ولكن مثل هذه الراديكالية قد تفصح المشروع الصهيوني ومن هنا مصطلحات مثل «الصهيونية نقدية» و «الصهيونية التقنية» (وهي سلبية

مصطلح «بورخوف» (صهيونية بالولدت) وهي مصطلحات تشير إلى ظاهرة رفض أعضاء الجماعات اليهودية في العالم الهجرة دون تسميتها بشكل صريح

وتنظرًا لكل هذه تطورات أصبحت كلمة «صهيونية» (مسيونية بالعبودية) تعني «كلام مدح أحمر» (الجبروسايم بوسيت ٢٦ أبريل ١٩٨٥) وتحصل أيضًا معنى «التياهي بالوطنية بشكل على مُبانيق فيه»، وتدل على الاتصاف باستجابة الشديدة في حقل الحياة (لايكونومست ٢٦ يوليو ١٩٨٤) وكتاب برنارد أفيشاي مائة الصهيونية، ص ٢٦) ومن الواضح أن حقل الكلمة اندلج أو مظهرها يشير إلى مجموعتين من البشر صهايمه الخارج، أي لصهايمه شوطيمون الذين يحضرون إلى فصل صهيون ويحبون أن يسموا بخطب التي لا علاقة بها بالواقع، ولذا فهي سادجه، مليئة بالادعاءات الحقائق والتياهي العلمى بالوطنية وتشير هي الوقت نفسه إلى صهايمه الاستيطانيين الذين يعرفون أن بخطب التي عليهم إلقاؤها إن هي إلا خطب جوفاء ومبالغات لفظية لا معنى بها، ولكن غلبهم إلقاؤها على أية حال حتى يجرؤ لهم الضيوف المطفء ولقصود الآن بمهارة مثل «أعنه صهيونية» هو «ستقوم» بكلام ضخم أحرف لا يحمل أي معنى، فهو صوت ملا معنى وجسد بلا روح ودال بدون مدلول

وبطبيعة الحال يستطيع الكيان الصهيوني أن يتماشى مع كل هذه الأزمات، ولكن حينما يهبط الفلسطينيون في انتفاضة رفض شاملة

(كما حدث في انتفاضة ١٩٨٧ وهي انتفاضة الأقصى والاستقلال) وحيثما يقوم العرب بالهجوم على هذا الجيب الاستيطاني لدروس كالضوكة هي حلقتا (كما حدث في جنوب لبنان)، فإن أزمة المجتمع الصهيوني تتبدور ويكتشف المستوطنون الصهاينة أن الالهيات الصهيونية بال فلسطين أرض بلا شعب وأن يهود شعب بلا أرض وأن الصهيونية هي ترميم اليهودية، أو عودة اليهود إلى أرض جدانهم هي كنها أكاذهب عرضها الصهاينة عرضاً على الواقع من خلال عمليات متواصلة من الإرهاب والعنف ومن خلال الدعم الإمبريالي الغربي.

المصل الثامن

انتصار الإنسان في جنوب لبنان

لا يتعامل الإنسان مع واقعة بشكل مادي مباشر، وإنما يتعامل معها من خلال مجموعة من الأفكار والرموز والأساطير وقد أصبحت الصور المجازية والأساطير جزءاً أساسياً من الحروب الدائرة في عالم، خاصة في عصر الإعلام. إذ يبحث كل فريق مقاتل عن مجموعة من الشعارات ولصور مجازية التي يبرر بها موقفه ويسبغ عليه قدر من الشرعية وحينما ظهر رجل أوروبا النهم (أي لاستعمار العربي) وتفتحت شهيقته وقرر القهام العالم وجد أن عليه أن يستخدم مجموعة من الصور المجازية والأساطير فاطبق على الدولة العثمانية اصطلاح «رجل أوروبا المريض» أي أنه حوبها من خلال صورته مجازية إلى رجل مريض ميؤوس من حالته سيتحول إلى جيفة ميتة بعد قليل، ولا غصاصة بطبيعة الحال في اقتسام الجيفة، بل إن هذا يُعد خدمة للإنسانية العذبة!

جغرافيا بلا تاريخ

وقد ورث الصهيونية هذا لأجر «الواصي أحياناً، وضرب الواصي أحياناً أخرى، وصعدوا معه، خاصة وأن اليهود وإسرائيل وفلسطين وصهيون هي مفردات أساسية في ليرات الديني الغربي، ولذا نجد أن الصهيونية قد

أحاطو فلسطين بدحان كثيف من الأساطير، صدّقه بعضا، فقد أشاروا إلى فلسطين باعتباره «أرض بلا شعب» (يمكن للصهاينة شراؤها وتمزيق كسبها منها) وندا أشاروا إلى وسطا العربي باعتباره «الشرق الأوسط» ثم «المطقة» وحسب، أى نه قم براك كل شىء بحسبانة مكانا لا زمان له، جغرافيا بلا تاريخ، شىء بلا ذاكرة، كل هذا جعل الشرق العربى منطقة يمكن للجيش الصهيونية أن تصوب وتجوّل فيها دفعا عن «أمنها» و«حقوقها» وأصبح العرب مسؤولاً به لا فاعلاً، فالفاعل هو الصهيونية وجنودهم المقاتلون بشرسون، بل إن الجماعات اليهودية فى العالم (سى يُشار إليها باعتبار الشعب اليهودى) أصبحت جماعة من البشر يدور تاريخها حول الكس، فهو تعبّر عن الرغبة فى العودة إلى فلسطين «إرتمس إسرائيل» ، مكان توقف فيه التاريخ، ولذا فهو ينتظر هودتهم بصرخ لصير

ونكار الزمان هى إحدى سمات العقل لصهيونى الذى يحول زمان (حيث يتحرك الإنسان ويحقق الإنسان إنسانيته أو يجهضها وحيث يعارض حريته وحرادته) إلى مكان مصمت والزمان بالعسبة لعربى هو الحير الذى يمكنه أن ينهض فيه ويحرر أرضه ونفسه، ولد، والعقل الصهيونى يعقت الزمان ويؤثر أن يتحرك فى مكان. وقد تُرجمت هذه الرؤية إلى هذه صور مجازية: «دولة الصهيونية تارة «مناظ فى أسما لجمية أوروب» و«ممن منيف للحضارة الغربية فى وجه الهسجه» (عبء الرجل الأبيض الصهيونى؟) ، وهى تارة خرى «الحارس الغربى فى المطقة» وفى لحظات الصنق تُستخدم صورة «كلب الحراسة رأسه فى

واشطن وذيله في القدس»، أي أنه كلب حراسة لا عقل له، أو أن عقله في وشنطن، فهي التي تفكر، وهي التي تمد الكلب بالحياة، أما ذيله التفتيدي فهو هنا في وسط في عابدا العربي وبالمطبع هناك الصور المجارية الأكثر وضوحا مثل «إسرائيل باعتبارها حاملة طائرات»، وقد صاحب هذا مجموعه من الصور لمجارية لأخرى مثل جيش إسرائيل باعتباره انحراف الطويلة التي تصل إلى أي مكان، والقوة البطشه الأسطورية التي لا تقهر، والصهيوني باعتباره المقاتل الشرس الذي لا يهرم، ولدى يدفع عن أرضه بشرابه، ويلاحظ أن كل الصور المجارية هذا تسقط الآخر العربي باعتباره وجوها يتحدى بوجود الصهيوني وتسقط عنصر لومان وتاريخ باعتباره المجال لدى يعبر فيه الآخر لعربي عن نفسه

في هذا الإطار تأسست نظرية الأمن الإسرائيلية المبينة على الكيان ونقي منكر برملي، وأصبحت المشكلة الأمنية بالنسبة للصهاينة مسألة حدود جغرافية أمة وأراض بهم الإستيلاء عليها، وسكن بهم ضربهم بهم من حميد وهي هذا الإطار تصور لصهاينة أنهم يمكنهم من كل مشاكل المستوطن الصهيوني الأمية، ومع تكسة عام ١٩٦٧ تدغم هذا الاتجاه تماما فأعلن صهاينة أنهم وصلوا للحدود الآتية، والحدود الدائمة، وبهم سيمكثون هت إلى أن يقوم العرب بالتقسيم، كان خط بارليف هو بورة لهذا الموقف وأهدم العالم العربي في موقفهم هذا، فقد أحصوا أن الرمن قد قتل، وأن بتاريخ العربي والصرع العربي الإسرائيلي قد وصلا إلى نهايتهما!

ومن الأساطير الاساسية الأولى التي صُنِّعَها الإسرائيليون والتي ورنوها من بوسنة لأفكار الإمبريالية الغربية، هي الإيمان بأن القوة قادرة على تحقيق أى شئ، فالعالم، في نهاية الأمر، يشبه الغابة، وقد ترجم هذا بعنه إلى ما سماه موشيه ديان «خلق الحقائق»، أى أن تقتصب الأرض بالقوة وبمغشى الوقت يصبح الاعتصاب حقيقة قائمة على الجميع الاعتراف بها والتعامل معها، هكذا فسوا في فلسطين بأسرها، وعلى مناطق أخرى من العالم العربي

والتوسعية الصهيونية هي إحدى تجليات مفهوم العالم كناية هذ، ولقوة كآلية وحيدة لحسم الصراع، ولذا مع وجود الآلهة العسكرية الصهيونية لم لا يمتد الوطن «نقوى» من النيل إلى الفرات؟ (كما صرح الحاحام فيشمان عضو الوكالة اليهودية في ريعينيات القرن لماضى)، وكف بهن أوري أفيري أن ما يحرك الصهينة ليس الدافع لمقائدى وإنما موارهن القوى وحسب، ولذا فالتوسع الصهيونى لم يتوقف ما دام هناك فراغ بسبب الغياب العربى، وقد تعدد الصهينة وتوسعوا بيلأز «لقرع» على جنوب لبنان وليخفقو حقائق صنية جديدة فيه

ولرؤية استمركرة حول الكس قد ترجمت نفسها إلى أسطورة ماسادا، و«ماسادا» كلمة أرمية تعنى «نقله»، وكانت توجد بها حامية رومانية هاجمها بعض المتعربين اليهود عام ٦٦ ميلادية إبن «المرودانيه» ضد الإمبراطورية لرومانيه واستولوا عليها وسبحوا كل أعضائها وقد أخذ

الرومان التمرد وقاموا بحصر القلعة، وتقول الاسطورة إنه بدلاً من الاستسلام والوقوع أسرى في أيدي الرومان أثار اليهود معارسته افتحار جماعي. وقد لعب كذب هذه القصة، ومع هذا تقوم أجهزة الإعلام الإسرائيلية بمحاورة العقلية الإسرائيلية واليهودية بأسطورة ماسادا، ففي كل عام تُقيم بعض أسلحة الجيش الإسرائيلي احتفالات ترمز بعين الولاء على قمة القلعة ويقسمون على مهادنة يأس ماسادا لن تسقط ثانية

وقد 'ضعنا نحن من عند أسطورة يهودي لبروتوكولات، وهو شيطان يوجد خارج الرمان، قادر على تحريك العالم بأسره، وبيع انفساد في ربوعه وإسقاط الحكومات وتوجيهها حسبما يريد، وسيطره على الإعلام وحركة رؤوس الأموال، وملاحظ أنه إذا كان لليهودي بهذه القوة فلا يوجد ما نفعله سوى لاستسلام، أو نقرار، لأن الحرب ضد مثل هذا الشيطان هو من قبيل الانتحار فكل من البروتوكولات (المعادية سيهود) وماسادا (الصهيوتية) يتفقان في عدم جدوى جهاد وضرورة الاستسلام.

وحيثما وصلت القوات الإسرائيلية إلى بيروت أرسلت رساله واضحة عالية إلى كل اندول العربية إنها على أتم استعداد أن تذهب إلى أقصى حد كي تحقق أهدافها الصهيونية بما في ذلك حثلال عواصم العربية، وإن الولايات المتحدة على اسم استعداد أن توارر إسرائيل في سطيمها وبطشها وما بين المطامع الصهيونية وبقوة العسكرية الإسرائيلية والمظلة

الأمم المتحدة واللوبي الصهيوني لا يمكن العرب بطبيعة الحال إلا التفاوض والاستسلام، أليس كذلك؟

بعث روح المقاومة

ولكن ما حدث في جنوب لبنان هزم كل هذه الأساطير وقضى عليها، والانتصر بلبناني على إسرائيل بوجوب عليها ولا وأخيراً أن ننظر بطريقة جديدة للصراع العربي الإسرائيلي إن كان فيها بقية من روح ووعي وضمير، لمؤكد للحد من أسوأ أحوالنا، وبما يوجد جسد وروح وإرادة ومزينة ورغبة في الاستشهاد في سبيل الله والوطن وأن تاريخنا لم ينته، وأن الحياة تدب في أرواحنا، وأن روح المقاومة تسرى فيها، وأن إمكانية هزيمة آلة العسكرية الاستخبارية الإسرائيلية (التي تساعدنا آله الولايات المتحدة والغرب) إمكانية حقيقية

ولنبداً أولاً بوضع هذا النصر الأخير في إطاره الحقيقي، هو نصر باهر لا شك فيه، رفع رؤوسنا جميعاً، وبكته ليس هو الوحيد، فهو ليس مجرد فتنة (كما يحلو لبعض الصهاينة أن يربو حتى يطمعنوا بمسهم وكما يحنو بعض سوريين من العرب أن يفعلوا حتى يحتفظوا بقوازيمهم ويستلموا فيما هم فيه من غيبوبة وستسلام) إن انتصار المقاومة في لبنان هو جرم من نمط متكرر، فنحن في حربنا مع العدو منتصرين ومنكسرين، ومنكسرين ومنتصرين، ولكننا والحمد لله لا نستسلم، وبلا شك فيه أن هناك العديد من الانكسارات التي نعرفها جميعاً لكن هناك أيضاً انتصارات قبل

وبعد ١٩٤٨ يجب ألا ننسى يجب أن نذكر أن أطول حركة عصيان مدني في التاريخ وقعت في فلسطين في منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي وغير ذلك من البطولات الثمينة والجماعية. أما بعد ١٩٤٨، فلم تبدأ المقاومة قط ولكنها أخذت شكلاً أكثر بروزاً في أعمال المقاومة ابتداءً من عام ١٩٦٥ ثم معركة الكرامة فحرب الاستنزاف فانتصار عام ١٩٧٣ فالانتفاضة المجيدة عام ١٩٨٧ فانتفاضة الأقصى ٢٠٠٠

إن تكرار النمط هو تأكيد لإمكانية الانتصار الأخير بإذن الله، ويجب ألا ندع آلة الإعلام الصهيونية ترسخ في وجدنا غير ذلك، وانتصار حرب الله يؤكد هذا النمط ويثبت فكرة مقاومة مرة أخرى، فهناك أساس إمكانية الجهاد ومكانة هزيمة الآلة العسكرية الاستخبارية الإسرائيلية التي تصانها الآلة الأمريكية والغربية بأسرها

وهي محاولة لتبرير موقف الإسرائيليين تقول مجسه تايم «إن الإِسْحَاب وضع نهاية لاحتلال لا معنى له استمر لمدة ثمانية عشر عامًا، وأودى بحياة مئات الجنود الإسرائيليين. فلقد استعرت إسرائيل في احتلال لبنان حتى تحارب حزب الله، وحزب الله تحارب ضد إسرائيل لأنه بقي في لبنان» وهذه أكتوبه، فتخول إسرائيل للبنان ثم يكس للحرب ضد حزب الله وإنما لتحقيق الأهداف لأستراتيجية الإسرائيلية الغربية، وهي لتفتت عدم تعريء ابتداءً من لبنان، وحرب الله بدوره لا يحارب ضد إسرائيل لأنها هي جنوب لبنان وحسب، فالسبالة أعني من ذلك بكثير

في تجفيف المستنقعات

وقد تأمل الإسرائيليون كثيراً في أسباب انتصار لقومية الليبانية، وكما دعتهم فسروا اسألة بطريقة مكانية حتى لا يدركوا البعد التاريخي لهذا النصر، ولنترك باراك يتحدث، يقول هذا العنصرى القديم، ندى تنكر في زى امرأة واقتد بعض الفادات الفلسطينية فى بيمان وتوأس فريق المستعمرين (المستعمرين) ندى كان يفكر فى زى عربى ويذهب إلى الأسواق الفلسطينية ويمتال بعض شيطى الانتفاضة «إن الحرب ضد الإرهاب مثل لحرب ضد بهومن، يمكن أن تطارد البعوضة تلو الأخرى، ولكنها حرب ليست مجددة من ناحية تكلفة»، وللاحظ ان الصورة المجازية هنا تحاول أن تحقق عدة مور، التقليل من شأن المقاومة، وتحويلها إلى شيء لا قيمة له، بل ضارة، يجب التخلص منه وإبادته وإعطاه مبرر للصهاينة للاستحباب، فالمسألة بالنسبة له مسألة تكلفة لا أكثر ولا أقل.

ولكن الرمان يتسلل من خطابة، رغم أنه، فحينما سأله «ندوب مجلة نيم لم لم تعدد بالاستحباب من ليمان حينما كتب رئيساً للأركان؟ فطر باراك أن يطق بالحقيقة فالمسألة هنا تكون مسألة تكلمه ولكن مسألة تكلمه «متصاعدة»، نبي أن العرب يتعلمون ويستفيدون وبطورين أنفسهم، يقول باراك إنه لم يفسح حينما كان رئيساً للأركان لأن الأمر لم يكن تضيحاً «حينذاك»، وكس من «متصاعدة» و«حينذاك» تفتحان الباب على مصراعيه برمان، إذ إن باراك يعترف أن حرب الله قد وضع

يعرور الزمن، وكيف كان ذلك؟ «لقد قطع حزب الله مسافة طويلة منذ ذلك الوقت، مما اضطرنا لأن نزيد من استعدادهما وانتهى بنا الأمر بأن أصبح عندما عربات مصحبة ضد متعجلات من عيار ٥٠ ك ج ، وهذا وحش كاسر حينما يداننا كنا ندافع عن سيارتنا ضد الألغام، والنعم عبارة عن 1.٥ كحم من المتعجلات، فوضعوا لغمين، الواحد مع الآخر، مما اضطرنا إلى أن نجعل سيارتنا أكثر حصينة، فاستخدموا سلحة أكثر تطوراً من بينها صواريخ TOW وهي تصيب أهدافها بدقة، فنجد نفسك «مورطاً في حرب متقدمة للغاية تتطلب الكثير من التكاتف. فبكل بساطة رغم أننا كانت يدنا هي اليد الطولى، إلا أن الموقف كان يقدهور بشكل حلزوني إلى أسفل ويؤدي إلى سحبنا بشكل أعمق وأعمق هي الوحل»، رغم أن باراك لا يستطيع أن يتخلى عن عنصريته وخيلاته (فهو لو فعل لظهر عارياً أمام نفسه وأمام العالم لقائد المهروم) ولذا نجده يطعم خطابه بعبارات مثل «اليد الطولى» و«الوحد» ولكن الرسالة التاريخية الزمعية قد وصلت، واعترف بها رغم كل محاولاته أن يخفيها ويتمسك بها

نكر باراك أن حرب الله استخدم أساليب قتالية متطورة تكتيكات جديدة، ولكنه لم يذكر حواش أخرى، تذكر الناصر بانتفاضة ١٩٨٧، وأنها أن يواجه لم تتم بين الجيش الناري ومجموعة صغيرة من المقاتلين تم تدريبهم بكفاءة، وأما تمت بين الجيش الإسرائيلي الناري وكتلة البشرية اللبنانية بأسرها ومن ضمنها النخبة المقاتلة، وأن هذا مكسبها من تحقيق قدر عال من القمارك جعل من لاحتراق مسأله

مستحييه وزاد من ثقله المقاومه بنفسها واستطاعت هي من اخفوق العدو واستخدم أحدث وسائل الدعاية والاستخبارات، وهذا ما حدث تعاملاً إبان الانتفاضة، وهذا ما حقق لها قدرًا كبيراً من الاستمرار والتجّاح، أمام مثل هذا الحائط البشرى التاريخي ماذا يمكن للعدو أن يفعل؟

لقد تحولت «الحدود الأمية» و«الحزام الأمي» إلى «المستنقع» و«كابوس» و«مأساة» (هذه كلها صور مجازية إسرائيلية) وحتى يُسكت معارضيهِ استشهد بآراك بمناحم بيجين الذي قال «إن لبنان مأساة، لا يمكن تحملها»، ثم ضاف أن بيجين بعد اكتشافه هذا ضرب على يده العرلة إلى أن مات كمنًا (حيثما ذكرت وقتها ذلك في إحدى مقالاتي تهكم أحد الواقعيين العرب على، وأحبرني أن الرجل مات حرًا على روجته، وأتهمني بمرض التفوّل الثوري وعدم تفكير وقع الاحتلال السرطاني).

إن «المستنقع اللبناني» أصبح صورة مجازية أساسية في الوجدان الإسرائيلي (بعد أن كانوا في الماضي يتباهون بأنهم جاءوا إلى فلسطين فوجدوها مستنقعات وصحارى، فجففوا المستنقعات وزرعوا الصحارى)، ولكن بآراك، مثل معظم الكذابين، يفقد أحيانًا سيطرته على الصور المجازية التي يستخدمها كمسحاة دخان لتغطيه رؤيته الحقيقية فتفضحه بدلاً من أن تستره، فيقول «إن منهجنا هو تجميع المستنقع» (عن طريق الانسحاب)، ولكن إذا كان الانسحاب هو تجميع المستنقع، فأيها الراكب

إن هو جيش يهروا (يهودى)، وجنوده هم البعوض، ليس كذلك؟ ثم يطق بارال بالحق، «لم أر قوة عسكريه أصبحت أكثر قوة، أو أى أمة أكثر ثقة بنفسها، من حارب صد رجاء العصابات المقاتلة فى بلد آخر». ويصر باراك «أن «عباده لابد أن تنتظر لواقع يعيون مفتوحه، حتى لو كان هناك شيء من «القوة فى ذلك» فيقرر الانسحاب ولكن ما هى «القوة فى أن يسحب صاحب اليد الطولى بذى يطارد ببعوض» العسوه تكمن فى أن البعوض ليس بعوضاً، وإنما مقاومة حاولت وبجحت فى تحرير الأرض المحتلة، وبها تعثّل أنبياء القيم الإنسانية، وأن صاحب اليد الطولى هو جيش مستعمر قطعت يده أو حرقته أصابعه، فولى الأدبار، وقد بدأ يدرك أنه جيش استعماري ظالم يمثل أخس ما فى الإنسان

إن إفرام سبيه كان أكثر دقة وأمانة فى وضعه لواقع الإسرائيلى حينما قال «نحن نقض كوبر، الانسحاب على سرطاني وطاعون بقاء الاحتلال»، بصورة الموضع بجارى تُستفهم هنا لوصف كل من الاحتلال والانسحاب، فبقا الغزاة الإسرائيلىه مرض وانسحابها مرض، ولاختير هنا بين الأمرين أو المرضين، ولكن عفيف بحق العرب أن يتذكر أن ما حوّل الاحتلال من نزهة خلوية إلى كويلر هو مقاتلو حزب الله

محاولة توظيف الانسحاب

ويفترض الإسرائيليون - كما أسبقنا - أن لعرب معمول به، يمكن تحريكهم كما يشاء المستعمر ليهودى ويمكن القول بأن المشروع

الصهيوني ككن يستند إلى هذا التصور، أليست نقطة الانطلاق هي الغياب العربي؟ فلو أن لعرب موجودون بالفعل، فمن هناك مجال للوجود الصهيوني؟ أليست فلسطين أرضاً بلا شعب؟ وأليس وطن العرب مجرد «منطقة»، مكان بلا زمان وجغرافيا بلا تاريخ ومساحة يتحرك عليها بشر لا يمكن أن يُحسب لهم حساب؟

وبذا تصور الإسرائيليون أنهم بانسحابهم سيحققون عدة أشياء من بينها أنهم سيحطون بعالم صورة ينجانية عن أنفسهم، فهم يمثلون لقرار هيئة الأمم ١٨٢٥ باعتبارهم جماعة متحضرة ولكن من يمكن أن يمدى مثل هذه الأكاديمية/المكتبة، تنفيذ لقرار بعد مرور ٢٢ عاماً، هكذا وسنكون معدومات؟ هل استيقظ الضمير الإسرائيلي فجاء، وبث الله البور في صدورهم؟

ولكن انعام كله يعرف أن هناك أجندة خفية، فالنصير الإسرائيلي للمنطقة هي أن تُقسّم إلى دويلات ثنية وعرقية ودينية متنافرة متناحرة (دولة كردية - دولة شيعية - دولة سنية - دولة عربية، وهكذا)، ومن ثم يمكن لإسرائيل أن تكون الدولة القائدة وكان لتصير الإسرائيلي أن ليدن هي أكثر دولة مرشحة للتقسيم وبجربة الحزام الأمني كانت هي تصورهم هي البداية ورغم هشيم في ذلك (والقاومة الإسلامية هي ليدن كانت تضم مسلمين ومسيحيين، إيمانين وعلمانيين، تماماً مثل جيش لحد العميل، فهو لم يكن جيش، مسيحياً، كما يحلو للبعض أن يروجوا، وإنما كان لفيما من نقابة المجتمع النباشي ككل)، يقول رغم مثلهم إلا أن الصهاينة لا يتسمون من التاريخ (وكيف يتعلمون منه وهم

ينكرونه)، ولذا، فهم لا يزالون يتصورون أنهم باستحبابهم يمكنهم روع القرقة في لبنان وأن يحملهوه بسقط صريح القنصلية الطائفة بين المسلمين والمسيحيين وبين الشيعة والسنة إلخ، واستهم يمكنهم أن يصنعوا الخلافات بين الجيش اللبناني والدولة بأن يصروا على ضرورة نزع سلاح المقاومة وأن يقوم الجيش اللبناني بحماية المنطقة الشمالية لإسرائيل وهم أخيراً يتصورون أنهم باستحبابهم يمكنهم تحقيق ما يريدونه من فصل للمسلم السوري عن المصار اللبناني (تتلخص إستراتيجية لإسرائيلية في التعامل مع كل دولة عربية على حدة، حتى يعكس التعاملها كالتقمة لساعة)

وكل هذا بطريقة الحال ممكن، ولكن قيادة حرب الله أظهرت وعيًا بحيل العدو، إن كان في تعاملها مع سكان المناطق المحررة أو حتى مع العملاء الذين سلموا أنفسهم، فلم يتم اضطهادهم أو رجمهم كما فعل الفرنسيون مع النصارى مع النازيين

كما أن لبنان (وسوريا) قد يبدا للعدو أن استحبابه ليس هو نهاية المطاف، فهناك قضية مزارع شبعا، وقضية تعويض ليهود عن الأضرار التي حاققت بها نتيجة لاحتلال وهناك قضية المعتقلين اللبنانيين في السجون الإسرائيلية، وأخيرا هناك القضية التي لم يطرح الصهاينة أي حل لها منذ تأسيس المنظمة الصهيونية وهي قضية اللاجئين الفلسطينيين الذين يزيد عددهم حسب الإحصاءات عن ٣٥٠ ألف لاجئ.

تصايف الأساطير

وقد بدأت الأساطير لصهيوتيه تتآكل الوحدة تلو لأخرى، فبدلاً من لتوسمية الصهيونية هـ نحن نرى الانكماشية صهيونية، والاسحاب مدب وبدلاً من أمريكا، معسكة بكل أوراق النعبه، قالت إحدى الصحف الإسرائيلية (مستخدمة نفس الصورة المجازية) « بعد كسب حرب الله كل الأوراق »

ولناحد مثلاً آخر، أسطورة مسادا التي بُرد ما تصديقها لم يقف التبريح عام ١٩٦٧ بل استمر تطور الإنسان العربي نفسه وتحرك عام ١٩٧٣ فتناقط خط بارليف، فهو لم يكن حائط مهيأ ضد المتخلف الشرقى (كما دعى هزمرل)، بل كان مليئاً بالثقوب مثل قطعة الجبن (كما قال ديان)، ومن المعروف أن لقوات الإسرائيلية لى حوصرت فى خط بارليف عام ١٩٧٣، استسقط بطريقة عملية رشيدة للعبه على سمع وحرى الصليب الأخضر بدول والتلفزيون المصرى، وفى احد هذه المواقع سأل الجنود قاندهم بهكم إن كان المطلوب هو القتال حتى لو لإقامه مسادا ثانية، فأبهم سرد بالاستسلام على أن يبيعوا «سام عدسار» التلفزيون المصرى

واثناء انتفاضة ١٩٨٧ لم يتحدث أحد عن مسادا وما تحدثوا عن الطائفة المروحية وما هى حكاية الطائفة المروحية هذه؟ يقول شارون إنه إن لم يصعد الإسرائيليون هسنانى بطائرات مروحية وسيسقطها لإسرائيليين من على سطح السفرة الأمريكية، كف حدث فى حرب

فيتم هدم أصحاب القنصات الأمريكية، وقد كتب حد الشعراء
الإسرائيليون (حاييم حيف) انداك قصيده بعنوان «ممرجل جميعاً إلى
امريكا» ، تبدأ القصيدة بالتصويت في الكنيست على الخروج الأخير،
ولنا «لمرجل إلى امريكا الآن/ فقد للمسا حقائبنا وامانيه» ويتدفع
جميع نواب نظام (ولا تترحموا لكل مكانه/ عمو لا تنظفوا هكذا) لقد
حرمت الحكومة حقائب الرحيل إلى امريكا ويتصور رئيس الوزراء عملية
خروج السريع هذه وهو يجلس في مقعده في الطائرة، ويرون به انقراض
يملأ من لا مكان للباقيين هنا « . فليس حاله وحال ورثته هو «نحس
ومن بعدنا الطوفان» . إن الصورة السائدة هنا عكس صورة البطل في
ماساد الذي يهلك مع رفاقه .

وبسرعة أحدث الطائرة . تظهر

أما «دوله

فقد هجرت

وحيدة تركت إسرائيل

تركت بقية الشعب رغم بنا جميعاً في الرحيل إليها . راقبين

بعيداً عن ماساد، السهالكة، بعيداً عن صهيون حتى اشتعلت فيها

النيران . في الولايات المتحدة الوطن القومي الآمن وربما الحقيقي

وقد انسهر عدد من الجنود الإسرائيليين في جنوب بنس ولم يكن

اتسارهم تعبيراً عن الإصرار في الدفاع عن أماكنهم، وإنما كان احتجاجاً

على حرب لا معنى لها من وجهة نظرهم كما لوحظ تصاعد ظاهرة نفيهم
من الخدمة العسكرية إن أسطورة ماسادا، شأنها شأن الأساطير الأخرى،
مثل المقاتل الصهيوني بشورس، واليهودي الشيطان سي يُسخر العام هي
مجرد أكاذيب تهدف إلى تنشيط لهمة وإشاعة عقلية الهزيمة
ويعبر تشيد لهايتكنغاه (الأمس) تشيد الحركة الصهيونية، ولتشيد
القومي الإسرائيلي، عن وحدة من أهم الأساطير لصهيونية، أسطورة
الشعب الواحد الذي يتوق للمودة لوطن أجدده.

« ما دامت روح اليهودي

في أعماق القلب تتوق

وبهو الخسرى

تتصع العيون لصهيون ،

أملنا لن يُنقذ أمداً »

ماذا حل الجنود الصهاينة بشييدهم لصهيوني هذا، بدلاً من التضامن
بالعلم الصهيوني القديم غموا بشيدهم في جحيم الظلام وبسرعة ثم فروا من
المستنقع والمأساة والجحيم ولعلمهم في خروجهم اكتشفوا أن كلمات
النشيد اكتسبت معنى ساذجة، فعميونهم تنطلق إلى صهيون بالفعل، ولكن
صهيون لا يكتفد من النيل إلى الفرات، وإنما اكتملت لتصبح غمراثيل
داخل حدود ١٩٤٨ ، بل إن شمال صهيون المجاور لجنوب لبنان،
أصبح يعيش في حالة رهيب واسهيار أكثر من ذلك الاسهيار الذي حدث

بحيـش لـبنـان الجـنوبـي فـقد سـاد الفـزع المـستـوطـعـين وهاـدرت عـداد كـبـيرة مـعـهم إـلى وـسط إـسـرائـيل عـند ذـويـعـم، وعـرض أـعـداد مـعـهم مـسـار لـيـمـع، نـي أـنـهـم خـرجـوا مـن شـمال إـسـرائـيـل مـثـلـه خـرجـت بـقـوت لإـمـرأـثـيـلـية مـن جـنـوب بـهـلـان، وديـقـة تـأـني بـإـذن الله

و« بخروج » في الوجدان لليهودى عادة مرتبط بالخروج exodus من مصر أيام موسى التوراتى، ثم صيـح يـشـير إـلى الـهـجـرة الـاسـتـيـطـانـية إـلى إـسـرائـيـل، وـلكـن الـمـصـطـلـح اـرنـبـط مـؤـخـر فـي الـوـجـدان لإـسـرائـيـل الـحـديـث بـواقـعـهـم لـيـودى وـلـذا سـمـيت هـجـرة الإـسـرائـيـليـين إـلى الـوـلايـات الـمـتـحـدة الخـروج الثـانـي، أو الخـروج مـن صـهـيـون فـهـن مـجـسـمـى الـانـسـحـاب مـن بـيـروـت «الخـروج الثـانـي»^٢ وـماـذا عـن الخـروج الـرابـع والـآخـير يـرـدـن الله ووالـدى أـشار لـه الشـاعر الإـسـرائـيـلي فـي قصـودـه^٣

باب لـجـهـاد و لـاجـتـهـاد مـفتـوح، وـهـذا مـا أكـده جـنـرال الإـسـرائـيـلي شـأـوـل مـوـهـار مـحـيـنـما آخـيره اـحـد بـصـحـبـين لـأمـريـكـيـين ان الـأسـر قد اـتـمـى بـعد انـسـحـاب القـوات الإـسـرائـيـية مـن جـنـوب لـبـان، قـاب مـسـتـقـراً، عـم تـتـحـدث^٤ نـتـهـي^٥ هـذا وـصـح جـديـد و لـسـر مـا سـيـحـدث؟ و مـن يـجـتـهـد و يـجـتـهـد هو الـذى سـيـقـر طـيـبـه الـنـهـايـة، أم الـواقـعية و الـاسـتـكـامة فـتـنـانـجـها مـضـمـونة تـمـاماً الـهـريـمة الـمـكـرا،^٦

الفصل التاسع

انتفاضة الأقصى

وجذور العنف الصهيوني

شاهد يوبيا في الفعاليات مدى عسف الاستجابة الإسرائيلية للانتفاضة الفلسطينية، وهو عسف لم يرق مثله من قبل في عمليات اسحق الإسرائيلي والحق يقف على توقعات هذه المواجهات العنيفة بعد أن بدأ ما يسمى بعملية السلام وشعرت باقترابها حينما صرح أحد المفوضين الفلسطينيين به لم يتم التوصل إلى سلام دائم وإنما إلى مفاوضات سلام دائمة، وهو تعليق ماحر تشويه المزارعة يصف لطريق المدود مدى دخته عملية لسلام، وندي جعل لفلسطينيين يدركون مدى عبثية عملية أوصلو بأسرها

ومع هذا حين اندلعت انتفاضة الأقصى وحين قويت بكل هذا العسف الإسرائيلي، اعتزتي الدهشة، وتساءلت كيف يمكن للإسرائيليين بعد هذا أن يستمروا في الزعم أنهم يريدون التعايش جنباً إلى جنب مع الفلسطينيين، خاصة بعد أن تم إسقاط أهم القوايت الفلسطينية (عدم الاعتراف بإسرائيل الميثاق الوطني الفلسطيني) وتم وضع علامة استمهم

على بعضها (عودة اللاجئين)، وكل هذا من أجل سلام يشتم بالحد
الأدنى من العدل

الرؤية الصهيونية للواقع

لم يكن أمامي من سبيل لفهم كل هذا العصف إلا بالعودة للرؤية
الصهيونية للواقع التي تحدد إدراك الإسرائيليين لأنفسهم ولبن حولهم.
وإدراك المرء لواقع (وبس) بواقع في حد ذاته) هو الذي يحدد مدى
وكيفية امجابه لما يدور حوله. كان هليّ لعودة إلى القولة البسيطة
السارجة نتي تشكل اسباب لتصور بصهيوني للواقع وهي أن فلسطين
«أرض بلا شعب وأن يهود شعب بلا أرض» والنصف الثاني من المقولة،
أن اليهود شعب جائل لا وطن له، ثبت كذبه، إذ إنه بعد قرين كامل من
الاستيطان الصهيوني وبعض نصف قرن من إعلان الدولة، لا تزال العالبيّة
الساحقة يهود العالم موجودة خارج لدولة الصهيونية، مع يدعي عن هذه
الدولة صفة أنها وطن كل يهود العالم، ويتفنى عن اليهود صفة أنهم شعب
ينطلع للعودة لوطنه، ومع هذا أمكن للدولة بصهيونية التعميش مع هذا
الوضع وأن تستمر في طريقه، كأن شيئاً لم يحدث

أما بالنسبة للنصف الأول من القولة «أرض بلا شعب» فالمسألة أكثر
عمقاً ولا تتحمل أي نهوون، إذ إن الإجماع لصهيومي (الذي يشكل
الإطار الإدراكي والأيدولوجي لكل الصهاينة) يستند إليها، فلسطين،
من منظور صهيومي، هي أرض مصر ثمل، وطن اليهود القومي، ومن ثم

فإن اليهود، كل اليهود، لهم حقوق مطلقة فيه، والحقوق المصقة لا تقبل الآخر، مما يعنى إنكار حقوق العرب في أسوأ تقدير و تهديشها في أحسنه ومن هذا قانون العودة الصادر عام ١٩٥٠، الذي وصفه بن جوريون من صدى بأنه عمود الصهيونية الفكري، وهو قانون يسمح أي يهودي ترك «وطنه» لزعموم» من عدة آلاف من السنين «الحق» في العودة ليصبح مواطناً هو «يهوديه» وتنكر، في الوقت ذاته، هذا الحق على ملايين الفلسطينيين القابعين في مخيمات بلاجئين.

هذا الإجماع هو ما يتفق عليه كل الصهاينة، متطرفهم ومعتد بهم، يمينهم ويساريهم، رأسماليهم واشتركيهم، وهو شكل من أشكال العنف الفكري، فهو رؤية اختزاله للواقع المركب يستبعد من وجدان الصهاينة فستحيين وشعبها وتاريخها بن وجغرافيتها ولصهيونية في هذا لاختلاف من لتجرب الاستعمارية الاستيطانية الإحلالية الأخرى، حين يتم نقل كتلة بشرية من أوروبا ويتم توطينها في أرض جديدة، وعادة ما يشارك أعضاء هذه الكتلة في تبرير موقفهم باللجوء إلى مبررات مختلفة ولكنها مع هذا لها سمات ثابتة

١ - فكل المستوطنين عادة ما يتجهون إلى إلغاء الزمان (التاريخ) أو تجميده والانفصال عن المكان ومقطعه بدايه عند المستوطنين لبيض لابد أن تثقيب السكان الأصليين تماماً ومقطعه ابدائيه عند المستوطنين البيض المهاجرين من العالم الغربي هي عادة رفض تاريخ بلادهم الأصلية، باعتباره تاريخ الظلمة وكفر ويحاول المهاجرون أن يضعوا حداً نهائياً

مشاكلهم وأن يبدأوا من نقطة انصراف المردوسية في الأرض الجديدة، ويتضح هذا الجانب في أسطورة الاستيطان الصهيونية التي تبدأ برفض تاريخ اليهود في المثلث (وضمن ذلك العالم القريب) والصهيونية هي الحل النهائي الذي يطرحه الصهاينة والاستيطان في صهيون هو نقطة البداية والصير

٢ - يذكر المستوطنون البيض تاريخ السكان الأصليين في الأرض التي سيهاجرون إليها ويستوطنون فيها فهي هادة أرض عدراء بلا تاريخ، غير مأهولة بالبشر (أرض بلا شعب)، هلي عكس الأرض التي يأتي منها المستوطنون، فهي مكتظة بالسكان

ومره أخرى نجد أن أسطورة الاستيطان الصهيونية تعبر عن هذا بشكل مقبلور إذ يزعم الصهاينة أن فلسطين هي إسرائيل أو صهيون، وأن تاريخها قد توقف تمامًا برحيل اليهود عنها، بل إن تاريخ يهود أنفسهم قد توقف هو الآخر برحيلهم عنها ومن يصدف هذا التاريخ إلا يهودتهم إنها، ولكنه تاريخ جديد خال من الاضطهاد والصراع، فهو تقرب إلى التاريخ مقدس.

٣ لا تؤكد أسطورة الاستيطان الغربية نهاية التاريخ وحسب وادى نهاية الجغرافيا كذلك، فالأرض لنى يمتوطن فيها الإنسان الأبيض هي أرض وحسب، ليس لها حدود واضحة ولد، فهي تتسع حسب قوة الإنسان الأبيض الذاتية كلما رد عدد المستوطنين وازدادوا قوة اتسعت ابحود ومن هنا فكره الرند والجهة المقسمة دائما والرائد هو الدي

يرناد ارضا جديدة دائم، لا يعرف حدودنا ولا قيوننا ولا حدودنا وارنيط
بهاية سناريج ببهاية الجغرافيا أمر موقع ففكرة الحدود فكرة إنسانية
حصارية غير طبيعية، اما عالم الطبيعة ولادة فلا يعرف الإنسان، ومن
ثم فهو لا يعرف الحدود

واسطورة الاسيطان الصهيونية هي اسطورة التوسع بالدرجة الأولى،
فبرئس يسرائيل ليس لها حدود واضحة فالعهد القديم يحوى أكثر من
خريطة والمسيطون لصهاينة أطلقوا على أنفسهم مصطلح «حالتسيم»
أي «زواد»

٤ إذا حدث ان كانت الأرض النسي يقال لها «هدير» مأهولة
بمسكان فإن أسطورة الاسيطان القريية مساون تهميشهم، فهم قليلو
العدد متحلقون يفتقرون إلى الفون والعلوم والمهارات لحملهم، مسهلون
الثروات طبيعة الكمة في الأرض وهم عادة مجرد وحدة لا يستقرون
في ارض ما، وهم شعب لا تبيع له، فاعضاؤه جره لا يتجزأ من الطبيعة
(كشعالب والذئاب) ومن ثم لا حقوق لهم لكن هدافان وجود مثل هؤلاء
الناس هو وجود عرضى ومن ضرورى وضع حد جدرى وبهائى للمشكلة
الديموجرافية، أى مشكلة وجود السكان الاصليين في الأرض انمذراء
وضرورة اجنتات شافهم تمامًا

واسطورة الاسيطان الصهيونية تنظر للوجود فلسطينى فى فلسطين
باصباره أمر عرضيا هامشا، ولاعتذاريات لصهيونية مليئة بانحديت
من فلسطين باصبارها أرض مسجورة بهمة، وكثيراً ما يتحدث بصهاينة

عن الفلسطينيين كما لو كانوا جزءاً من الطبيعة بلا تاريخ. وكان هذا ينتهي بطبيعته الحال بتأكيد حق اليهود بسطلي في فلسطين. ومحاولة الحركة الصهيونية وضع حد نهائي للمشكلة الديموجرافية فقامت أخيراً بالإبادة (دمر ياسين - كفر قاسم) ولكي «تطرد» كان الشكل الأساسي، وبعد اتفاقيات أوسلو قد الحل النهائي شكل عزل السكان الأصليين داخل مجموعة من القرى والمدن ومحاصرتهم بالقوات العسكرية الإسرائيلية ولطرق الالتفافية

• تم تحرير سروي الاسيطانية الإحتلالية عن طريق القصص الإنجليزية، وقد يحدث تلاق كمال بين أسطورة الاسيطان العربية العامة وأسطورة الاسيطان الصهيونية، فاستوطنون البيض (وضعهم نصائية) ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم من الأبناء (اليطارقة) الذين تركوا بلادهم ليستقروا في بلاد أكثر اتساعاً، وفي أرض عذراء لم يستوطن فيها أحد من قبل، وهم مثل العبرانيين يخرجون من مصر (أوبابيل) أرض مملى البغيضة، ويسلحون من تاريخها ليعودوا إلى صهيون (الجديدة) من «يصعدوا» لها فإن وجدوا مأهولة فأهلها إذن من الكنعانيين الذين لا حق لهم في الأرض ومهبرهم هو الحل النهائي لطرد أو الإبادة

وعنى عن القول أنه حينما نتحدث عن «أسطورة» فنحن لا نتحدث عن واقع تشكّل ولا حتى عن برنامج عمل؛ وإنما عن قصة أو قصص يوجد فيها يشكل كامن نموذج معرفي، وهذه القصة مستبطنه تصاناً، تعمّر

عن نفسها بشكل جريئ وتتحقق بعض جوانبها في أماكن وأزمنة متفرقة،
ولا تتحقق مجتمعة إلا في لحظة معاذجة مآثره

سناداً إلى كل هذه التبريرات لأسطورية يدعى المسموطنون ان لهم
حقاً في اغتصاب الأرض الجديدة من سكانها الأصليين ويحسن لهم
بإداتهم أو طردهم والولايات المتحدة مثل واضح على لاستعمار الإحلال
الذي يلجأ بالإبادة، والدولة الصهيونية هي مثل واضح على السوء الفاني
المبني على بطرد

وما عمق من العنف الإدراكي لدى لصهاينة، هو تفسيرهم للعقيدة
اليهودية فقد حولوا العهد القديم إلى فلكلور لشعب اليهودي، وهو كتاب
تعيش صفحاته بوصف حروب كثيرة خاضها المبراتيون ضد الكنعانيين
وغيرهم من الشعوب التي أبداً بعضها، وهو يقص فضلاً حاداً بين
الشعب ايهودي المقدس والأغبر (أي غير اليهود)، يكن ما يتبع ذلك من
أردو حية في المايير تجعل الآخر مباحاً تعاف وتجعس استخدام العنف
تجاهه مرأ مقبولاً والصهاينة هي هذا بالمعاصرة - لا يخشون كثيراً من
المستعمرين البيض في أمريكا الشمالية وجنوب إفريقيا وغيرها من
الجيوب الاستيطانية فاعضاء لكتلة البشرية بواقده دائماً يرغمون أنهم
أكثر تعوقاً من السكان الأصليين (هم شعب مختار أو جنس أبيض متفوق
أو رسل حضرة) وبأسم هذا التلوي يقومون بإبادة كل من يقابهم من
كنعانيين أو همود حمر أو فلسطينيين

كما أن الصهيونية (على عكس ما يصور الكثيرون) يكرهون شخصية اليهودية ويمسونها بالسلبية والهامشية والخسوع والعجز، ولذا طنبو بتحديث الشخصية اليهودية حتى يمكن أن يدخل من ضوعها وتصبح شخصية قادرة على القلق، وكما قال بهجين «أب أحارب، إنز أب موجود» ومن قبله أوصى أسعده جايوسسكي اليهود بأن يعملوا الذهب من الأغيار «فالتوراة والسيف أربلا علينا من السماء»

الرؤية الصهيونية للعرب

وقد طوّر الصهيونية صوراً إدراكية للعربي نزع عنه إنسانيته وتجرده تماماً حتى كُفّي به وتضم هذه النظرية بتساعد معدلات بتجريد إلى أن يصل إلى النقطة التي يمتحق فيها النموذج الصهيوني الإدراكي وهي التلقيب الكامل للعرب

١ - العربي كعضو في الشعوب الشرقية الملومة (بتخفيض للعربي)

وفي إطار هذا تصور ، يُقدّم الصهيونية وصفاً لشخصية العربية هي أنها شخصية بتخلقة، ومثل هذا الوصف أمر شائع في الاعتدريات العصرية وهي أدبيات لاستعمار الأوربي، فانوصف هذا بهيوس وصفا للعربي بقدر ما هو وصف لأي آسيوي أو أفريقي (أو حتى أي أمريكي اسود)، والاستعمار الصهيوني، هي أحد تصوراته لهذه، كان يرى أنه جزء (تابع) لا يتجزأ من الحركة الإمبريالية العربية، ومن الهجمة

العسكرية لحضارية على الشرق العربي لإدخال الحضارة والنسكك
الحديثة والبلاتيت واقتابل

٢ - العربي معقلا للأغيار (تجريد العربي) -

وقد وُصف لأغيار في الأدبيات الصهيونية بأنهم «دُباب، قنق،
مريضون بانيهود، معادون لرؤس لليهود، و«الأغيار» مقولة مجردة، من
إنها أكثر تجريداً من مقولة «اليهودي» في الأدبيات النازية، أو مقولة
«البرجى» في الأدبيات المصرية البيضاء، وهي أكثر تجريداً لأنها
لا تصم أقلية واحدة، أو عدة أقليات، أو حتى عصر بشريا بأكمله، وإنما
تضم كل الآخرين في كس زمان ومكان وقد وضع لصهاينة الإنسان
العربي على وجه العموم، والعنطيسى على وجه الخصوص داخل مقولة
«الأغيار» حتى يصبح بغير ملامح أو قسما

وتظهر مقولة «الأغيار» هذه في وعد بنفور (أهم الوثائق لصهيونية)
حيث أشار إلى العرب (الذين كانوا يشكلون أكثر من حوى ٩٣٪ من
مجموع السكان) على أنهم «الجماعات غير يهودية»، دون تحديد هذه
الجماعات أو ذكر سمها، حتى لقل هذه الجماعات عند مستوى عال من
التجريد، من هذه الجماعات غير اليهودية هي أية جماعة إنسانية تشغل
الأرض التي سيستوطن فيها الشعب اليهودي وبينما كن هرتوب يتفوض
بشأن كريب موقعا للإستيطان الصهيوني كثف من الجماعات غير
اليهودية التي تقطعها بطريقة تعم عن عدم الاكتراث والتجريد، فقد
وصفهم بأنهم «عرب، يونانيون، هذا الحشد المختلط من الشرق»

٣ - تهجير العربى .

إن عملية النجود السابقة تستهدف تهجير عربى حتى لا يشغل مركز الأحداث بالمسبة لفلسطين والعربى الهامشى معط أساسى فى الإدراك الصهيونى للعرب . إن الصهاينة ينكرون وجود أية هوية سياسية للعرب عامة ، وللمسطينيين على وجه الخصوص أو أية مشاعر قومية من جانبهم ، فالصهاينة فى إدراكهم للثورات العربية عنهم يتكروا طبيعتها لقومية و سياسية ويؤكدون لأنفسهم ولرعايقهم أن الدافع إليها ليس حب لأرض أو لوطن أو التمسك بالتراث ، فالدافع إليها هو التعصب الدينى ، وقد كلل لصهاينة يلمون لسيحيين العرب ، أحياناً ، باعتبارهم الأعداء «حقيقيين» لشروعهم لاستيطاني ، ويصورون المسلمين فى صورة نفريق الطيب الذى يمكن التماهى معه ، وكانوا أحياناً أخرى يعترضون المكس ، يؤكدون أن المسلمين هم العدو الحقيقى ، وأن المسيحيين هم القرين الذى يبدى استعداداً كبيراً لتعاون وكانت الجماهير الفلسطينية بالسبة إليهم مجرد ضوغاء يتلاهب به مشرو الشعب من الإقطاعيين والأفندية ولا تحركها الدوافع القومية ويرى سمحا فلايل أن وايرمان كان يؤمن إيماناً راسخاً بأن سرور هذه الجماهير ليس تعبيراً صادقاً عن حركة قومية خلقة وإنما كانت تملبه الاعتبارات الإقطاعية القبلية الضيقة

والى جانب هذا ، كان الصهاينة يرون الفلسطينى أو العربى حيواناً أو مخلوقاً اقتصادياً محضاً تحركه الدوافع الاقتصادية المباشرة وإد ، ويمكن حل المشكلة العربية (حسب هذا التصور) فى إطار اقتصادى

لا يكون سياسياً بالضرورة، وبمثل من الأمثلة الأولى على هذه الإستراتيجية الإدراكية رشيد بيك، هذا العربي الذي تم تحليله حسب المواصفات الصهيونية في رواية هرتزل «الأرض الجديدة القديمة» ، فهو يؤكد أن الوجود الصهيوني قد عاد على العرب بالنعيم الكثير، بعد زادت صادرات البرتقال عشر مرات، كما أن تهجرة اليهودية كانت خيراً وبركة، خصوصاً بالنسبة لئال الأراضى لأنهم باعوا أرضهم بأرباح كبيرة وطن لئيف من الصهاينة يومنون إيمان واسعاً بإمكان النخب على معارضة الفلسطينيين من طريق توضيح المبدأ الاقتصادية الجعة على سبيلها الاستيطان الصهيوني، وعن طريق حثهم على الترحيل إلى البلاد العربية بعد إعطائهم التعميم الاقتصادي المناسب من وطنهم وكانت إحدى انتقاعات الإبراكهة عند ويرمان أن تطور فلسطين سيؤدي إلى أن يفقد العرب الاهتمام بالمحاربة السياسية

٤ العربي الغائب

إن ذكر العرب، ولو في مجال التشهير بهم، هو اعتراف ضمني بهم، ولكن الصهاينة يحاولون إخفاء العرب بإدخالهم في مفهوم مقولة «الأفكار» المجردة، هذا الاتجاه يصل إلى قمته حيث يمكن أن سميه مقولة «العربي غائب»، فبدلاً من الإخفاء الجريئ حلف مقولة مجردة، يصل محاولة الإخفاء إلى حد الإغفال الكامل، فالصهاينة أحياناً لا يذكرون العربي بخير أو شر، ويكرمون الصمت جهلاً الضحية،

ويُظهرون عدم الاكتراث الكامل بها (وهذه إحدى سمات الخطاب الصهيوي)

ويفرخ فلسطين من كل سكانها أو معظمهم (أي تقييدهم) هو أحد ثوابت الفكر الصهيوي، وهو عنصر مُتضمن يشكل صامت في الصيغة الصهيونية الأساسية وهذا أمر منطقي ومعهود، إذ لو تم الاستيلاء على الأرض وبقي سكانها عليها لأصبح تأسيس الدولة الوظيفية مستحيلًا، وإنم تأسيس دولة عادية يمثل مصالح سكانها بدرجات متفاوتة من العدل والظلم، فمهدوية دولة (مع إغفال تقييد السكان الأصليين) هو صلب وظيفيتها وعمالها

ومن هنا، كان اختفاء العرب جميعًا، ومن هنا كانت الصفة الأساسية للاستعمار والاستيطان الصهيونيين هي كونهما استعماريًا استيطانيًا إحلاليًا فصيويته تكمن في إحلاليته، كما أن إحلاليته هي التعبير المحتتم عن صهيويته (وبيهوديته المزعومة)

ورغم أن رصد معولة «العربي الغائب» وتوثيقها أمر بالغ الصعوبة لأن ما هو غائب لا يمكن رصده وتوثيقه بالطريقة التقليدية التي تعتمد على الاقبياسات والنصوص وتحليلها، ومع هذا، فإن هناك عددًا كبيرًا من التصريحات وأفهام الصهيونية لا يمكن فهمها إلا في إطار مقوسة «العربي الغائب» ويمكن أن يدرج تحت هذا كل ذلك الحديث لتستقيض من الأرض لقدس وإرتس بمصراثيل وصهيون وأرض اليماد، فهو حديث يستند في نهاية الأمر إلى افتراض غياب فلسطين لعربية، والحديث عن

«استيطان لهاجرين من روستا القيصريه باعتبارها «هنايا» أى «اصحوبه»
 واحديث عنهم باعتبارهم «معيلاهم» أى يهود يدخلون فلسطين كما
 دخلها العبرانيون بقدامى رعم كن الصواب والموافق، هو أيضا حديث
 يفترض غياب العرب وغياب تاريخهم بل إنه يمكن القول بأن المصطلح
 صهيوى ككل (بلى، عودة، تجمع انقيين إلخ) يفترض مفهوم
 عربى الغائب، وقراءة ي نص صهيوى وفهم أى بوضع صهيوى أمر
 صعب جدا، إن لم يكن مستحيلا، من دون افتراض مقوله العربى الغائب
 كمثل أهلى ونقطة تحقق

وسحاول الآن أن ننظر للواقع من خلال عيون مستوطن صهيوى يرى
 العالم من خلال هذه العدسات الإدراكية « إن ظهر عربى هلى شاة
 وهى، فإنه يتحدث خريطى الإدراكية، فهو اعروض فيه أنه غير
 موجود، وإن نجاس وطالب بحقوقه ونادى بتطبيق قرارات هيئة الأمم
 على رتس يسرائيل، أرض ابعاد اليهودية، فهذا سبيل على جهله
 وتخلعه، ولابد من تلقينه درسا، وإن بدأ يتحرك نحوى- أنا يهودى
 عضو شعب لحذر وصاحب الحقوق المطلقة فهذا يعنى أنه يسان
 مجنون وحظر لاهد من لقضاء عليه، فاعرب لا يعمدون سوى لغة بقوة
 (وهذا هو أحد بنود الإجماع الصهيوى)

هنا يتحول المنع الإدراكى من عصب فعلى مسلح، أى إلى إرهاب،
 فتنتلق الصواريخ والمدافع ولطائرات لتصبح فلسطين أرضا بلا شعب،
 أو أرضا يقطنها شعب لا سيادة له يعيش داخل كانتونات يراقبه الميون

الصهيونية، المسحة لتصبط حركته وتجعله يتحرك داخل حدود الإدراك الصهيوني، وحينما يطالب الصهاينة الفلسطينيين بالجلوس معهم على مائدة المفاوضات فهم يطلبون منهم ذلك وهم قابعون داخل إدراكهم لصهيوني، فيعرضون عليهم ثلاثاً صهيونياً حسب شروط صهيونية، يصنعون السلام الفلسطيني، فإن لم يقبل الفلسطينيون بالسلام/الاستسلام، فإن جيش الدفاع الإسرائيلي مهبحرك لهذا المسار ويسويها بالأرض ليضمن أن الواقع الفلسطيني يتفق مع الإدراك الصهيوني له

الهاجس الأمني وعقلية الحصار

ولكن لم يسمى جيش المستوطنين الصهاينة جيش الدفاع الإسرائيلي؟ يعود هذا بطبيعة الحال إلى تصور الصهاينة أن أرض فلسطين هي أرضهم وأن الفلسطينيين بخلاء، ومن ثم فانبطش بالمستوطنين وديارهم هو من قبيل الدفاع عن النفس ولكن ثمة بُعداً آخر خلف الإدراك الصهيوني وهو ما نسميه بهاجس الأمن وعقلية الحصار ويعود الهاجس الأمني إلى أن المستوطنين الصهاينة ادركوا أن الأرض التي يسكنونها عليها ويدعون ملكيتها منذ آلاف السنين هي في واقع الأمر ليست أرضهم، وليس أرضاً بلا شعب كما كان الزعم، وأن أهلها لم يستسلموا كما كان متوقفاً منهم، ولم تتم إبادتهم كما كان مفروض أن يحدث، بل هم يعاومون وينتفضون ويترادون في العدد والكفاءات ولم يكفوا عن المطالبة بشكل صريح بالضعف والقطع، وبشكل خفي بكل فلسطين ويحق العودة بها،

وقرارات هيئة الأمم المتحدة الخاصة بحق العودة لائتزال سارية المفعول ولم تقبل إسرائيل عضوًا في المنظمة الدولية إلا بعد تصديقها بتقيد هذه القرارات ، وبمساندتهم في هذا كنه الشعب العربي ، ومسألة المجرى العسكري لعربي والتفوق العسكري الإسرائيلي ليست مسألة أريية ، وقد أثبتت حرب ١٩٧٣ ثم المقاومة في لبنان ، وبمذهب الانتفاضة أن العرب قادرون على أن يمدوا تنظيم أنفسهم ويهاجمو المستعمر ويلحقوا به خسائر فادحة

لغة إحساس عميق لدى المستوطن الصهيوني بأن عربي الدائب لم يغيب ، وهو أحساس في جوهره صادق ، فالكيان الصهيوني محاصر بالفعل ومهدد دائمًا ، والعرب في واقع الأمر لا يمكن «الثقة بهم» ، لأن الجماعية العربية لن تقبل حالة الظلم باعتبارها حالة نهائية رغم توقيع مساعدات السلام الكثيرة^١ وأقصى ما يطمح إليه المستوطنون لصهاينة هدنة مؤقتة تنهي هذه المواجهات العسكرية ، فالصراع مع الكيان الصهيوني صراع شامل على الوجود ، لأن وجود الشعب الفلسطيني لا يهدد حدود الدولة الصهيونية أو سيطرتها على أجزاء من الأرض الفلسطينية وحسب ، وبم يهدد وجودها كله ، كل هذا يعمق إحساس التوطنين الصهاينة بأن دولتهم كيان مشنول ، فرض فرضا على المنطقة بقوة لسلح ، وهم أول من يعرف أن ما نُسب بالسيف يمكن أن يصطط به ، والإسرائيليون دارسون بهمون لتجربة استيطانية سابقة تمت في نفس المكان وهي تجربة حروب الفرنجة (الحروب الصليبية في المصطلح الحديث) وبمالك الفرنجة انتهى

دامت حوالى فريين من بزمان، رحل اصحابها، ولم يبق من اثارهم سوى
مغص الأطلال وبما يعمق مخاوفهم [عجم يهود العالم هن الهجره
والتكلفه المقزايده للتكنولوجيا العسكرية، كل هذا يولد الهاجس الأمنى
المرضى وعقلية الحصار المرضية، وهي حالة لا علاج لها داخل لإطار
الصهيونى ومهما قدم العرب من تنازلات يظل الهاجس الأمنى قائما
وكنه لا علاقه له بالواقع، فهو حالة إدراكية مرضية لها جذور عميقة
فى الواقع

وقد ولد هذا الهاجس الأمنى إحساسا عميق باليأس لدى
الإسرائيليين، والإحساس بأن حاله احرب دائمة، ويظهر هذا الاستسلام
انكاس فى كلام موشيه ديان فى جثرة صديقه روى روتبرج الذى قننه
العذائون، الفلسطينيون، فقد قال ويرر الدفاع والخراجية (الإسرائيلى
الاسبق «إنه حيل من المستوطنين ولا يستطيع عرس شجرة أو بناء بيت،
ممن الخونة الحديدية والمدفع، عيب ألا يغمض عيون عن الحقن المشعين
فى أفئدة مئات الآلاف من عرب حولنا، عينا أن ندير رؤوسنا حتى
لا ترتعش أيدينا، نه قدر جيلنا، إنه خيار جيئنا، أن نكون مستعدين
ومسلحين، أن نكون أقوياء وقساة، حتى لا يسقط سيف من قبضنا
وتنتهى الحياة

وبعد يضع سموات لاحظ الشاعر الإسرائيلى حليم جورى بممرارة
ما سناه «مركب اسحاق» وهو أن الإنسان الإسرائيلى يولد وفى داخله
اسكين الذى سيديعه، كما بين جورى أن هذا لقراب (أى إسرائيلى)

لا يرتوي، فهو يطالب دائما بالمزيد من المداهي وصدديق دهن الموتى، كما لو كانت أرض إسرائيل آكلة ثأر بدمية، لا مجرد قطعة أرض أو إقليم، كما لاحظ الكاتب الإسرائيلي بن عزر أن الإسرائيليين اشباب، ليس يخدمون في الجيش، يشعرون أن أهلهم بالاشتراك مع الدولة يضحون بهم دون نمويض أو عزاء من عقيدة دينية تؤمن بالحياة بعد الموت، ولذا فهم يشعرون أن هذه الحروب هي تضحية عملاقة «برسحق»، أي أنها تضحية بشرية لا هدف لها ولا معنى، ولتوخ إسرائيل يعقوب تابون يتحدث عن «عقم لاقتصاد»، بعد أن رأى الجيش الصهيوني يتركز في حرب تلو الأخرى ولا يحقق شيئاً لأن الشعب الفلسطيني يرفض الاحتفاء ولأن الشعب العربي لا يتوقف عن تأييد الفلسطينيين وأن لشعوب الإسلامية لا تزال متمسكة بالقدس وبأرض فلسطين

وتتناول قصة «في مواجهة لغاية» التي كتبها الروائي الإسرائيلي أبراهام يهوشوا، التي وصفت بأنها هدامة وانتحارية، بعض الأحداث في حياة طيب يكتب رسالة عن حروب بفرنجة، وقد عُين بطل القصة الإسرائيلي حارساً لغاية عرسها الصدوق القومي ليهودي في موقع قرية عربية أزالها الصهاينة مع ما أزالوه من قرى ومدن، وكسب كل شجرة في الغابة تحمل اسم أحد المساهمين فيتحسين من الصهاينة التوطيبيين من يهود الخارج، ورغم أن البطل ينشد الوحدة، إلا أنه يقبل عربياً صبوراً أبكم من أهل القرية يقوم برعاية الغابة وتنشأ علاقة حب وكراهية بين العربي والإسرائيلي، فالإسرائيلي يخشى انتقام العربي، ومع ذلك

فإنه يجد نفسه مجذبا إليه بصورة غير عادية، بل يكشف الحارس
أنه من قبل الصندوق «نقوس» ليهودي به جدول «هلا وهى» مساعدة
العربى فى إشعال النار بالعامة، وفى النهاية، عندما ينجح العربى فى أن
يضرم النار فى «نعاة» كلها، يخلص البطل من كل مشاعره المكبوتة

والإحساس باليأس قد يؤدى فى النهاية إلى الفرار والهزيمة، ولكنه
فى المراحل الأولى يؤدى إلى مزيد من العنف تفكرى الذى يؤدى بدوره إلى
مزيد من الإرهاب العظمى، وكلما زادت المقاومة الفلسطينية راد البطش إلى
أن يصل المستوطن الصهيونى إلى لحظة التى يدرك فيها أن العنف لن
يجدى قتيلاً أمام المقاومة وأن تحالف إسرائيل لاستراتيجى مع الولايات
المتحدة والعالم العربى (وهذه هى آخر بنود الإجماع الصهيونى) لن يفيدها
كثيراً فى محاولة قمع الفلسطينيين، هددت ممارس هذا لاستوطن تحولاً
براكياً إذ إنه لن يمكنه الاستمرار فى الادعاءات أمام نفسه بأن فلسطين
هى أرض إسرائيل وأنها أرض بلا شعب تنتظر عودته منذ آلاف السنين،
عندئذ ستسقط الأسطورة وتبدأ النهاية

لا نهاية للتاريخ

فى ٢٦ من أكتوبر عام ١٩٧٣ كتبت فى جريدة الأهرام مقالاً بعنوان
«لا نهاية للتاريخ» أشرت فيه إلى أنه بمص النظر عن نتيجة الحرب فإن
نظريته الأمن الإسرائيلية تبعية على فكرة الحدود الجغرافية الآمنة والنسى
سقط عنصر برلمان قد انتهت، لأن العرب أثبتوا مقدرتهم على تطوير

أنفسهم بمرور الزمن وحيثما جاءت اللحظة المواتية، تحركوا وألحقوا الهزيمة بالعدو الذي أدرك بعدها أن الأمن لا يوجد في المكان وحسب، وإنما يوجد في الزمن أيضًا، وأنه ليس مسألة خاصة بالعلاقة بالجيش ولا حوجر إمانته والقربانية، وإنما أمر يتعلق بالعلاقة مع البشر، وقد أجمعت استغصنة ١٩٨٧ شيئًا من هذا يقين، فمن خلال فعل المقاومة، اضطر لإسرائيليين إلى الاعتراف بالوجود الفلسطيني، وجود هزيل محاصر من كل مكان، ولكنه وجود حقيقي، أي أن الخريطة الإدارية الصهيونية تم تعديلها بشكل جذري واختفت مقولة «العربي المذابح» ومع هذا استمرت المقولات الأخرى، وهذا ما تكفلت به انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠ (التي يطلق عليها البعض اسم انتفاضة الاستقلال) فقد تركت جرحًا غائرًا في الوجدان الصهيوني أكثر عمق وجذرية من أي جرح سابق. فلم يعد يوسع الصهيوني أن يزعم أن العربي شخص مختلف هامشي أو عدو أزيل لا عقلاني لليهود فقد رأى بعينه السكان الأصليين، الفلسطينيين، وقد هبوا هبة رجل واحد يدافعون عن حقوقهم المشروعة التي لا يمكن التنازل عنها، وأرسلوا له حجرًا يحمل رسالة لا يمكن أن تُفهم بالتخلف أو الهامشية، رسالة تخبره أن وهم السلام المبني على الظلم والبطش قد انتهى، وأنه لا سبيل أمامه إلا السلام المبني على العدل والعدل الذي لا ينطبق مع الإجماع الصهيوني ونظريات الحقوق اليهودية المطلقة كما رأى الشعب العربي والشعوب الإسلامية تتحرك بتلقائية هير هادية لمساندة الشعب الفلسطيني في كفاحه بشقي لسبيل

(ولاشك أن هذا أرسل رسالة واضحة جلية صُتّاع اقوار في الغرب الذين كانوا قد شغلوا من حساباتهم ما سموه «الشارع العربي» و«الشارع الإسلامي». أي الرأي العام العربي والرأي العام الإسلامي، ومما لا شك فيه أنهم سيحددون حساباتهم.

إن بحكم الصهيوني، بهذا المعنى، قد تم تقويضه وإلى الأبد وانتوى الوهم بأنه يمكن للمستوطنين الصهاينة التعايش مع العرب حسب شروطهم المصرية ومن الآن فصاعداً، مهما يحدث بعد انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠، حتماً سينظر الصهيوني إلى العربي بعيونه لئسلحه فإنه سيبرى مشروع انتفاضة، وسيبرى يداً تمتد بحجر وأن هذا العربي لدى يسير أمامه في سلام، والذي دخل معه في مفاوضات سلام ما يقرب من عقد من الزمان، هو في واقع الأمر عربي يلتقط أنفاسه ليهود ليقوم ولهرفع رايات العدل والصدق في زمن يكثر فيه الكذابين والجهلاء وهذا هو الإنجاز الأعظم لانتفاضة الاستقلال والله أعلم.

يشارك في سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام

الإشتراك السنوي:

داخل جمهورية مصر العربية ٣٦ جنيهاً

- الدول العربية واتحاد البريد العربي ٥٠ دولاراً أمريكياً

- الدول الأجنبية ٧٥ دولاراً أمريكياً

تصدر قيمة الاشتراكات مقدماً نقداً أو بشيكات بإدارة الاشتراكات بمؤسسة

الأهرام بشارع الجلاء - القاهرة

في مجلة أكتوبر ١١١٩ كورنوش النيل - ماسبيرو - القاهرة

القرصنة الوراثية

د. أحمد مستجير



فهرس

رقم الصفحة

مقدمة ٥

الفصل الأول

يهود أم جماعات يهودية ؟

٨	لتاريخ يهودى
١٠	هوية يهودية وموروث يهودى
١٣	سفارديم وأشكناز ويهود العالم الإسلامى
١٦	إصلاحيون وصحاةظون وأرثوذكسى وطوائف وعبادات أخرى
١٩	أمريكيون وهلاشا
٢٣	جماعات يهودية

الفصل الثانى

الخصوصية اليهودية

٢٦	الثقافة بدلاً من العرق
٢٨	استقلال ثقافة اليهودية
٣٣	ثقف اليهودى من هو ؟
٣٧	اشك لعرقى والأخلاقى

الفصل الثالث

إشكاليه الإحصاءات

- يهودى يشكن ما ٤١
- موت شعب اليهودى ٤٥
- سنة مليون ؟ ٥٢

الفصل الرابع

الهجرة والإسيطان

- الجماعة الوهمية ٥٨
- الهجرة الاستيطانية ٦٢
- الإسيطان ووقع اليهود المعاصر ٦٥
- الدياسورا النائمة ٦٧
- الانعزالية اليهودية ٦٩
- طفرات سكانيتلى ٧٠
- إنجلترا ومسألة لصهيونية ٧٤

الفصل الخامس

علاقة الصهيونية بالمسيحية

- التراث اليهودى المسيحى ؟ ٧٩
- الصهيونية المسيحية ٨٣

التفسيرات الحرفية	٩٠
-------------------------	----

الفصل السادس

معاداة اليهود : ثلاث حالات

الوقائع الثلاث	٩٤
« تهمة الدم » في سياقها التاريخي	٩٧
دريغوس والصراع بين الكنيسة والقوى العلمانية	١٠١
واقعة ليو فرانك	١٠٧
بين حشد الحقائق ومعرفة الحقيقة	١١٤

الفصل السابع

أزمة الصهيونية

بذور الأزمة	١٢٠
أزمة الهوية	١٢٤
تصاعد معدلات التوجه نحو اللفة	١٢٩
احتراز مقولة « الوضع الراهن »	١٣٣
التكاثر المفرط للمصطلحات الصهيونية	١٣٩

الفصل الثامن انتصار الإنسان في جنوب لبنان

١٤٣	جغرافيا بلا تاريخ
١٤٨	بعث روح المقاومة
١٥٠	فن تجفيف المستنقعات
١٥٦	تساقط الأساطير

الفصل التاسع انتفاضة الأقصى وجذور العنف الصهيوني

١٦١	الرؤية الصهيونية للواقع
١٦٧	الرؤية الصهيونية للعرب
١٦٣	الهاجس الأمني وعقلية الحصار
١٧٧	لا نهاية للتاريخ

٢٠٠١/١٥٢٧	رقم الإيداع
ISBN 977-02-6101-7	الترقيم الدولي

٧٢٠٠٠/١٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



ثمة مصطلحات ومفاهيم كثيرة اخترقت
مجالنا السياسي مثل «الشعب اليهودي»
و «الخصوصية اليهودية» و «المنفى»
و «ارتباط اليهود الأزلّي بأرض الميعاد» .
وقد وصل الاختراق درجة أن الكثيرين
لا يستطيعون تصديق أن الصهيونية هي
حالة نزعة وأن الانسحاب الصهيوني من
جنوب لبنان، ثم انتفاضة الأقصى، قد
تركها جرحاً غائراً في الوجدان
الصهيوني / الإسرائيلي .

والدراسات التي يضمها هذا الكتاب هي
محاولة لتفكيك وإعادة تركيب بعض هذه
المفاهيم والمصطلحات، حتى تعمق
رؤيتنا نقد الصهيوني، وحتى ندرك
مواطن قوته وضعفه، ومن ثم يمكننا
تحسين مقدرتنا على التنبؤ بسلوكه
والتصدي له .



دار المعارف

١٠٧٢٠٦/٠١

